سلسلة تصحيح المفاهيم ٨

الصراع العربي الإسرائيلي

قراءة تحليلية في الجذور التوراتية

د. محمد السيد الجليند

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	7
الفصل الأول: الصهيونية (مدخل تاريخي)	29
الصهيونية (معنى ودلالة)	43
الفصل الثاني: الجذور التاريخية للصهيونية العالمية	53
مرحلة التأسيس للصهيونية المعاصرة	65
الفصل الثالث: ماهية الصهيونية وأبعادها الدينية	73
* حركة قومية عنصرية	75
* حركة دينية	79
* حركة سياسية	80
مقارنة بين إسرائيل وجنوب إفريقيا	91
برنامج هرتزل	92
برنامج أورشليم	96
الفصل الرابع: النشاط الصهيوني في أوربا وأمريكا	99
نشاط اللوبي الصهيوني في أمريكا ومظاهره	115
الفصل الخامس: علاقة الصليبية بالصهيونية	119
الصليبية الصهيونية	124
نبوءة الظهور	126

التوحد الفكري---------- 132
محاور الخير والشر ---------- 137
وسائل أمريكا لتضليل الرأي العام تحت شعار محاربة الإرهاب141
اهتمام الحركة الصليبية الصهيونية بمستقبل إسرائيل ------- 151
المؤتمر الصليبي الصهيوني (إبريل 1988)---------- 153

الفصل السادس: استراتيجية إسرائيل للتعامل مع العالم العربي
بعد حرب 1973---------- 163
العقيدة الدينية للحركة الصهيونية---------- 176
ما العمل! ---------- 188
أولاً : وحدة الإرادة---------- 189
إسلامية القضية---------- 190
أخلاقيات اليهود ---------- 190
دور الشعوب---------- 191
حسن توظيف الثروات العربية---------- 192
ملحق رقم (1) نداء نابليون إلى يهود العالم ---------- 193
ملحق رقم (2) المؤتمر الدولي للقيادات الصليبية الصهيونية -- 195
قرارات المؤتمر ---------- 199

سلسلة تصحيح المفاهيم
الصراع العربي الإسرائيلي

سلسلة تصحيح المفاهيم

8

الصراع العربي الإسرائيلي

قراءة تحليلية في الجذور التوراتية

دكتـور

محمد السيد الجليند

رئيس قسم الفلسفة الإسلامية

دار العلوم- جامعة القاهرة

الناشـر

دار قـــباء الحـديثة

للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة

اسـم الكـتـاب: الصراع العربي الإسرائيلي
اسـم المؤلـف : محمد السيد الجليند
سنة النشـر : 2008 م
رقـم الإيـداع : 4488 / 2008 م
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6240 - 16 - 2

الناشـر
دار قـباء الحـديثة
للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة
E-Mail: modern_qubaa@hotmail.com

الإدارة 16 عمارات العبور شارع صـلاح سـالـم الدور الثالث
مدينة نصر ـ القاهرة

تليفاكـس 02 / 22621365
محمـول 0123140315 - 0123171722 - 0123171744

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا ومعلمنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

– 1 –

هـذا هـو العدد الثامن من سلسلة تصحيح المفاهيم عن قضية الصراع الإسرائيلي العربي وعن تباين الرؤى حول هذا الـصراع، واخـتلاف التفسيرات، واختلاف المواقف وتضارب الحلول المقترحة لحسم هذا الصراع.

ولم يعد خافياً على أحد من أهل الذكر أثر البعد الديني في تأسـيس الجذور التاريخية لهذا العداء اليهودي الصهيوني تجاه الأمم الأخرى مسلمين كانوا أو مسيحيين على سواء، فذلك أمر قد نصّت عليه أسفار العهد القديم ولم يعد في حاجة إلى دليل أو بـرهان. فإن من يتتبع تاريخ العلاقة بين اليهود والمسلمين منذ

فجـر الإسـلام وإلـى الآن سـوف يتأكد من هذه الحقيقة، إن الأصول العقائدية كانت وما زالت وستظل محورا رئيسيا تنطلق منه وتعود إليه كل المواقف العدائية المؤسسة للصراع التاريخي بين اليهود وغيرهم من الأمم.

لقـد أخـذ هذا الصراع التاريخي أبعاداً مختلفة وأشكالا متباينـة حسـب الـزمان والمكـان والظرف الاجتماعي الذي اسـتوعب هذا الصراع والذي تسلل -فكرا وثقافة وعقيدة- إلى مـيدان الخـلاف الذي ظهر بين الفرق الإسلامية وغيرهم من المنتـسبين إلـى الإسلام حيث نجد الفكر الباطني السبأي ونجد مـيمون القـداح ونجدة غلاة الإسماعيلية وإخوان الصفاء ومن على شاكلتهم.

نعـم إن الأصـول العقائدية المتمثلة في أسفار العهد القديم -والتـي تنـزه الـرب سـبحانه وتعالى عنها -هي التي أسست الجذور ووضعت اللبنات الأولى لهذا الصراع.

ولقـد تأسست الدولة العبرية -فكرا وثقافة وسياسة- على هـذا اللـون من العقائد التوراتية التي صرح بها المسئولون في مؤتمـراتهم السياسية فكل زعيم يهودي أو أمريكي يصرح بذلك خاصـة أن أمريكا قد تهيأ من الظروف العالمية ما جعلها حاكمة للقـرار الـسياسي العالمـي، ولا شك أن رؤساءها كانوا جميعا

مـن الموالـين للحركة الصهيونية المعاصرة، ومنذ نهاية الحرب العالمـية الأولـى نجـد أن السياسة الأمريكية تحتضن الحركة الصهيونية وتقدم لها العون المادي والمعنوي على مستوى العالم.

يقـول الـسناتور الأمريكـي (هنري كابوت) في خطابه (الـسياسي يونـيه 1922م) أورشـليم وكـل فلسطين في أيدي المحمديـين.. وفـي أورشليم وفلسطين المقدستين عند اليهود. الأرض التـي تتمـتع بقداسـة عظـيمة للغاية لدى أمم الغرب المسيحية يمكن أن تظل في أيد الترك.. كوصمة من الوصمات الكبرى في وجه الحضارة وهي وصمة ينبغي أن تزال.

وصرح النائب الأمريكي "توماس ليد" أنه كما تقام مملكة الله علـى الأرض لا يجـب أن يظل اليهود مشتتين في مختلف الأمم فهم كما علمنا الأنبياء لا يكونوا مؤثرين كلما كانوا أقلية.

ومما ينبغـي أن نلفـت النظـر إليه ما أشارت الكاتبة الأمريكية "جريس هالل" في كتابها "النبوءة والسياسية" أن نبؤات الـتوراة وكـل العهد القديم تتطلب من اليهودي أن يقوم بتدمير المسجد الأقصى وبناء الهيكل في مكانه وهم بذلك يعدون أبطالا وقادة في العالم.

وأشـــارت في كتابها أن مؤسسة "شارل مونرو" الصليبية الـــصهيونية تجمع التبرعات لبناء الهيكل مكان المسجد الأقصى وقد تم تصميم الهيكل بواسطة عالم الآثار الإسرائيلي (أفى يونا) حـــيث وضع له مجسما وأصبح جاهزا للتنفيذ، وفي 16 أكتوبر عـــام 1986م نشرت مجلة تايم الأمريكية تحقيقا عن بناء الهيكل جـــاء فـــيه (أن اليهود المتدينين الطيبين يأملون في تشييد بنائهم المقدس "الهيكل" لكن المحمديين بمسجدهم وعدائهم الديني القديم يمنعونهم.. وإن التراث الديني اليهودي مستقر على أن أمر الله في العهد القديم ببناء الهيكل أمر لا رجعة فيه).

ولـــم يخجـــل ساســـة إسرائيل أنفسهم من التصريح بأن عقـــيدتهم الدينـــية هـــي التي تأمرهم بما يفعلونه مع العرب في أرض فلـــسطين، فلقد كتب مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل الأسبق وهو صاحب مذبحة دير ياسين.. جاء في كتابه "الثورة" (مـــنذ أيـــام التوراة، وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأمم لأبناء إســـرائيل... وكانـــت تـــشمل دوما ضفتي نهر الأردن ولبنان الجنوبـــي وجـــنوب غرب سوريا أن تقسيم الوطن عملية غير مـــشروعة... وســـوف نعود أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل بتمامها وإلى الأبد.

وبـــنفس المعنـــى صرح "بن جوريون" بعد قرار التقسيم 1948م، قـــال: "إن السيف الذي أغمدناه فإنه لم يغمد إلا مؤقتا، إنـــنا ســـوف نشهره حين تتهدد حريتنا وحين تتهدد رؤى أنبياء الـــتوراة. فالـــشعب الـــيهودي بأسره سيعود إلى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد الممتدة من النيل إلى الفرات.

وهـــو الـــذي صرح بأن الدولة اليهودية هي المهد الذي تكونت فيه الخصائص الروحية والدينية للشعب اليهودي... وفي تلـــك الأرض كتـــبت التوراة التي قدمها الإله هدية للإنسانية... وإن الـــيهود لا يعودون إلى أرضهم فاتحين وإنما يعودون إلى الأرض الموعـــودة مـــن أجل صالح الإنسانية... وسوف نظل أوفياء إلى وظيفة شعب التوراة.

- 2 -

وبعـــد نكـــسة 1967م تـــم استيلاء إسرائيل على القدس الـــشرقية لأول مرة منذ ألفي عام دخل موشى ديان وزير دفاع إسرائيل القدس وأعلن فيها أن القدس أورشليم عاصمة إسرائيل الأبدية، وكانت هتافات اليهود التي استقبلوا بها "ديان" بالثارات خيبـــر بالـــثارات خيبر وخطب فيهم "ديان" اليوم فتحت القدس

وفتح بها الطريق إلى يثرب وإلى بابل" وقال إذا كنا نملك التوراة وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة. فيجب أن يكون لنا أرض التوراة.

وفي 30 أكتوبر 1967م كتب مراسل الجارديان البريطانية: أن الأمر أصبحت له قداسته الدينية، ففي عطلة الأسبوع أعلن الحاخام الأكبر أن أورشليم القدس وأرض إسرائيل هي أماكن مقدسة بالنسبة لنا، لقد وعدنا الله بالأرض وكل ما تنبأ لنا به الأنبياء يحدث لنا وعلى ذلك فإنه يحرم على أي يهودي أن يفكر في إعادة أي جزء كان من أرض أسلافنا.

وفي أكثر من لقاء تعلن "جولدا مائير" كما يعلن "بيجن" وكلاهما تولى منصب رئيس وزراء إسرائيل أن هذه الأرض هي وعد الله لنا ولآبائنا وأجدادنا ولا يصح أن يسألنا أحد لماذا جئنا هنا لأنه سؤال غير مشروع.

- 3 -

ولا أريد أن استرسل في سرد المواقف ولا في ذكر الوثائق والنصوص التي وردت على ألسنة المسئولين في إسرائيل، إن هذه الأرض هي حق ديني ووعد إلهي لهم فلقد

استطاعت الحركة الصهيونية أن تقنع ساسة أمريكا وأوروبا بهذه الأكاذيب ووجدنا أصحاب القرار السياسي في أمريكا يرددون نفس الأفكار والنصوص التي روج بها يهود دعايتهم للحصول على الأرض وتنفيذ الوعد الإلهي وترتب على ذلك أن ظهر في أمريكا اللوبي الصهيوني بنشاط الإعلامي "مجلة، صحافة، كتب، إذاعات، مسلسلات، أفلام" حتى أظهر الحق العربي في نظر العالم وكأنه عين الباطل، وصور أكاذيب الصهيونية على أنها الحق التاريخي والوعد الإلهي الغائب الذي يجب أن يتحقق على أرض الواقع، ثم برزت حركة "الصهيونية الصليبية" تجسيدا عمليا لنشاط اللوبي الصهيوني، وكانت هذه الحركة بمثابة الظهير الأمريكي للصهيونية العالمية وتبنت الحركة أكاذيب الصهيونية عن (الأرض/ الشعب/ الوعد) وجعلت النصوص التوراتية مرجعا أساسيا يلتف حوله الساسة وأصحاب القرار الأمريكي، وكان السلاح الأمريكي والمال الأمريكي والقرار الأمريكي هو الزاد والسند في يد الجندي الإسرائيلي ليقتل به الأطفال والنساء والشيوخ العجائز وليحرق به الزرع ويهدم البيوت وينكل به في الشعب الفلسطيني قتلا وتمثيلا.

لقد كانت الأصول العقائدية في أسفار التوراة هي المدد الروحي للجندي الإسرائيلي في ميدان المعركة، وكانت السند

والمـــرجع الدينـــي لـــصاحب القرار السياسي على منابر الأمم المتحدة وفي المؤتمرات الدولية في أمريكا وأوروبا على سواء.

لقد استطاعت إسرائيل أن تقنع العالم أنها تعمل على تنفيذ إرادة الرب بالوعد الإلهي وعلى العالم أن يكون درعا وسندا لها في مواجهة العرب والمسلمين.

نعم، إنها الأصول التوراتية التي غذت الحركة الصهيونية بالروح العنصرية الممقوتة المتمثلة في أكذوبة الشعب المختار.

وهـــي التـــي أمرت بالتخلص من كل عنصر عربي يقيم على أرض التوراة لأنهم سيكونون مناخيس في ظهورهم.

وهـــي التي أوحت إليهم بأن لهم أرض الميعاد من النهر إلى البحر خالصة لهم دون غيرهم.

وهي التي زينت لهم أن غير اليهودي إنما خلق ليكون في خدمـــة الـــيهودي، نعـــم: هـــذه الأصول التوراتية هي الحاكمة والمحـــركة لهذا الصراع التاريخي واستطاع الإعلام الصهيوني بقوته النافذة في أمريكا وأوروبا أن يعمل على مستويين:

المـــستوى الأول: أن يقـــنع الرأي العام العالمي بقضيته، ويظهـــر العـــرب بأنه المغتصبون للأرض المعارضون لإرادة الرب في تحقيق وعد التوراة لهم.

المـــستوى الثاني: تزييف حقائق التاريخ بتفسيرات دينية معـــتمدة علـــى مـــا جـــاء في أسفار العهد القديم، وأن العرب والمـــسلمين مـــصدر الإرهاب في العالم ويجب استئصاله، ولقد غـــاب هـــذا البعد العقائدي عن العرب في ساحة الحوار الدائر حـــول هذا الصراع، وإذا نبه إليه مفكر أو سياسي كان نصيبه الاتهامـــات الجاهـــزة (تحـــت الطلـــب) بالإرهاب والعنصرية والتطرف وأصبح الصراع القائم الآن بين طرفين يؤمن أحدهما بأنـــه يعمـــل لتحقـــيق إرادة الرب وتنفيذ وعده، والآخر يعمل لتحقـــيق شـــعارات قومـــية أو وطنية أو عروبية، وعند غياب الأهـــداف لابد أن تضطرب المسيرة وتتعثر الخطى، وهذا هو واقع العرب في الصراع العربي الإسرائيلي.

إن الهـــدف مـــن هذه الدراسة أن نلفت الأنظار إلى البعد العقائـــدي الغائـــب الحاضر في ساحة الصراع وخطورة الآثار المتـــرتبة علـــيه، والكشف عن الأصول العقائدية التي تتسلح بها الحركة الصهيونية لتحقيق ما نصت عليه أسفار العهد القديم من:

1- تحقيق الوعد التوراتي لبني إسرائيل بالأرض من النهر إلى البحر.

2- أنهم الشعب المختار لتملك أرض التوراة.

3- نبوءة الظهور للسيد المسيح ليحكم العالم من أرض أورشليم بعد إقامة مملكة الرب في إسرائيل.

إن هـذا البعد الديني كان ولا يزال هو المحرك الأساسي للحـركة الصهيونية وهو الذي خلق هذا التعاطف -بل التبني- الأمريكي لكل ما هو إسرائيلي ضد كل ما هو عربي وإسلامي، وقـد أصبح هذا أمرا واضحا ومعلنا على ألسنة أصحاب القرار السياسي في أمريكا منذ الحرب العالمية الأولى إلى الآن.

هذا في الوقت الذي تناسى العرب مرجعياتهم الدينية، أو تـنازلوا عـنها فـي مواجهة هذا الموقف الصهيوني بمرجعيته العقائدية، واكتفى العرب برفع شعارات القومية أحيانا والوطنية أحـيانا، وأحيانا أخرى كانت تطغى شعارات الزعامة الشخصية علـى الموقف بكاملة، وقد أثبت التاريخ والواقع زيف كل هذه الشعارات وتهافت بنيانها الفكري أمام مرجعيات اليهود العقائدية التي نسبوها زورا وبهتانا إلى الرب سبحانه وتعالى عما يقولون وتنزه عما ينسبون إليه من أباطيل.

والسؤال الذي ينبغي أن يطرح الآن: هل حان الوقت لكي يتنبه العرب إلى أهمية هذه المرجعية وأثرها في القلوب والعقول معـا؟ وأن يخاطـبوا العالم بها من خلال حقائق التاريخ الذي لا يكذب، لقد استطاع الإعلام الصهيوني في غيبة تامة من الإعلام

العربـي، أن يثير الغبار والشكوك حول كثير من حقائق التاريخ ليـصور بهـا حق العرب باطلا ويصور باطل إسرائيل حقا في نظـر العـالم، وأصـبح الوضع في حاجة إلى مضاعفة الجهود وتحـري الصدق والإخلاص لكي نوضح للعالم أننا أصحاب حق ولـسنا دعاة باطل ولا متطرفين ولا إرهابيين، وأن نظهر للعالم فضائح إسرائيل في أرض فلسطين وتزويرهم لحقائق التاريخ.

إن العـرب يملكـون مـن عوامل القوة ما يؤهلهم لكي يصنعوا التاريخ بدلا من العيش على هامشه، إننا في حاجة إلى أن نحـسن توظـيف ما أنعم الله به على هذه الأمة من ثروات طائلـة من الأرض والماء والمال والأيدي العاملة، بدلا من أن يـستغلها غيـرنا ونكتفي بالتسول منه ابتداء من رغيف الخبز وانتهاء بالمدفع والصاروخ.

- 4 -

إن هذه الدراسة تقتضي منا أن نضع أمام القارئ إشارات القـرآن الكـريم إلـى طابع اليهود وخصائصهم الأخلاقية وما يتمـتعون بـه مـن صـفات فـي السلوك على مستوى الفرد والجماعة، وعلى القارئ أن يقارن ما ذكره القرآن من ذلك وما يجده على أرض الواقع عمليا من سلوكيات اليهود.

لقد أشار القرآن الكريم إلى صفات اليهود وأخلاقهم الاجتماعية في تعاملهم مع غير اليهود ومع أنبياء الله ورسله بل مع الله سبحانه وتعالى، هذه الأخلاقيات التي أكدها التاريخ فيما مضى ويؤكدها الواقع الذي نعيشه الآن صباحا ومساء، من نقض العهود والمواثيق الدولية وجرأتهم في اغتصاب حقوق الآخرين، وإثارة الفتن والقلاقل بين الشعوب.

إن تاريخ إسرائيل في المنطقة العربية وأسلوبهم في التعامل يؤكد صدق ما ذكره القرآن الكريم عنهم من صفات الغدر والخسة وقتل الأبرياء شيوخا وأطفالا ونساء دون مراعاة لحرمة الدم ولا المواثيق الدولية.

كل ذلك ذكره القرآن عنهم فيما مضى ويؤكده الواقع المعاصر الآن، ومن أبرز ما أشار إليه القرآن الكريم من أخلاقيات اليهود.

1- عدم الوفاء بالعهود والمواثيق.

قال تعالى:

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة البقرة، آية 100)

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (سورة المائدة، آية 13)

هذا الخلق السيئ كان ولا يزال صفة أساسية في الأسلوب الذي تتعامل به إسرائيل مع المسلمين بصفة خاصة ومع العالم كله بصفة عامة، فلا حرمة لوعد ولا لميثاق دولي، وما يجري على أرض الواقع الآن من نقض إسرائيل للمعاهدات الدولية خلال القرن العشرين ومنذ تأسيس الدولة العبرية إلى الآن خير دليل على صدق ما أخبر به القرآن الكريم عنهم مما يحرمونه اليوم يحلونه غدا وما يبرمونه من عهود ومواثيق سريعة النقض والتراجع.

2- التحريف والتزوير للتوراة وأسفار العهد القديم، والقول على الله وعن الله وفي الله ما لا يليق بالبشر -فكيف بالله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا" فلقد وصفوا الله بالفقر والحاجة، قال تعالى:

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾

(سورة آل عمران، آية 181)

ووصفوا الله سبحانه وتعالى بالبخل، في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (سورة المائدة، آية 64)

ووصفوا الله سبحانه وتعالى بأن له الولد، في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ (سورة التوبة، آية 30)

وهذه الأوصاف القرآنية لليهود تؤكد نزعتهم المادية الخالصة التي جسدها فلاسفة اليهود وعلماؤهم في مناهجهم الفكرية المعروفة مثل كارل ماركس وداروين وغيرهم.

3- اغتيال الأنبياء والمصلحين إذا تعارضت رسالاتهم مع أهواء اليهود، ومن المعروف أن اليهود كانوا أكثر أمم الأرض حظا في إرسال الرسل وبعثة الأنبياء وكثرة عددهم، ولكن كان حظ الأنبياء منهم الغدر والاغتيال والمحاربة، قال تعالى:

﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (سورة المائدة، آية 70)

ويؤكد التاريخ اليهودي ما أشار إليه القرآن من ذلك، فإن اغتيال القادة والمصلحين أصبح حركة مستمرة بل يكاد يكون ذلك شعار سياسة إسرائيل الآن.

4- الحرص على نشر الإشاعات الكاذبة والحرص على الترويج لها بواسطة أجهزة الإعلام التي جندتها الصهيونية لهذا الغرض بقصد اتهام الأبرياء والنيل منهم وإثارة الرأي العام ضدهم تحقيقا لأغراضهم الدنيئة، وهذا خلق طبعت عليه سجايا يهود قديما وما زال العالم يعاني منه في وقتنا الحاضر، بواسطة الأجهزة الحديثة التي سخروها لذلك، قال تعالى:

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾

(سورة المائدة، آية 42)

ولاحظ معي صيغة التعبير القرآني "سماعون" بصيغة المبالغة التي تدل على الحرص الشديد والسعي الدؤوب لإشاعة هذا الكذب بين الناس.

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى عنهم:

﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ (سورة المائدة، آية 41)

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة آل عمران، آية 78)

5- الحرص على شيوع الفاحشة بين أفراد المجتمع ومحاولة الترصد للشخصيات المؤثرة وإغرائها بالأفعال الفاضحة والاحتفاظ بهذه السجلات الفاضحة لهم لكي تكون سيفا مسلطا على رقاب هذه الشخصيات عند اللزوم وكم عانى رؤساء دول كبرى وكم عانت شخصيات تاريخية مؤثرة من تنكيل اليهود بهم بواسطة هذه السجلات الفاضحة، قال تعالى:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾

(سورة المائدة، آية 78، 79)

6- كثرة الأكاذيب والافتراءات على أنبياء الله ورسله وقولهم زورا وبهتانا في حق الأنبياء بأنهم ارتكبوا الفواحش والأكاذيب، ويكفي أن نشير هنا إلى قول اليهود في حق السيدة الطاهرة البتول مريم وفي حق ابنها الرسول عيسى عليه السلام، لقد اتهموها في عرضها الطاهر وقالوا عن نبي الله عيسى ما يعجز القلم عن تسطيره، ولقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك في قوله سبحانه وتعالى:

﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ۝ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ ﴾

(سورة النساء، الآيات: 155-157)

ومما يثير الدهشة أن هذا الموقف بالذات قد سجلته كتب التاريخ كما جاء في القرآن الكريم وظل هذا الاعتقاد سائدا في الكنائس المسيحية حتى القرن العشرين واستطاعت السياسة الصهيونية أن تلعب -كعادتها- دورها الرخيص في استصدار قرار من بابا الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم المسيح مع أن التاريخ يؤكد أن المؤامرة قد دبرها اليهود لقتله عليه السلام.

7- الحرص على إشاعة الفتن والاضطرابات بين أفرد المجتمع وبين الدول عملا بسياسة فرق تسود التي يتبناها الفكر الصهيوني والعمل على إثارة النزعات العرفية والصراعات الطائفية بين أهل الملل والمذاهب المختلفة، وكم عانت شعوب المنطقة العربية من هذه الصراعات التي تثيرها أيدي المخابرات الصهيونية في الداخل والخارج، وكان هذا السلوك الصهيوني قد لاحظته القيادات السياسية في أوروبا ولذلك

سارعت دول أوروبا مجتمعة على التخلص من اليهود بإقامة دولتهم في أرض فلسطين والعمل على جمع شتاتهم من دول أوروبا بأكملها وتهجيرهم إلى إسرائيل حتى تتخلص أوروبا منهم ومن شرورهم.

لقد سجل القرآن الكريم هذا السلوك العدواني لليهود تجاه الآخرين وبين أن هذا السلوك يشكل طابعا عاما تتميز به اليهود عن شعوب الأرض، قال تعالى:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (سورة المائدة، آية 64)

تأمل معي تعبير القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ لفظ "كلما" الذي يدل على الكثرة وتكرار الحدث منهم بحيث أصبحت الحروب وإثارة الحروب والفتن طابعا ملازما لهم، والذي يقرأ الواقع المعاصر لنا وما أثارته اليهود من الحروب والاضطرابات في القرن العشرين يؤمن بيقين بصدق ما أشار إليه القرآن الكريم من أخلاقياتهم.

وينبغي أن يعرف القارئ الكريم أن القرآن حين يذكر هذه الصفات عن اليهود فإنه يذكر أيضا أن اليهود ليسوا سواء في ذلك وهذا لون من الإنصاف والدقة والموضوعية التي تتحلى بها أحكام القرآن وتنبه إلى أهميتها في تحري الحق وتوخي الحقيقة.

فإن القرآن كما ذكر أخلاق اليهود السيئة وعاداتهم القبيحة قد أنصف اليهود وذكر أنهم ليسوا سواء في ذلك بل ذكر أن منهم أمة قائمة بالحق يتلون آيات الله أناء الله وهم يسجدون.

وقال عنهم: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ .

ومن قوم موسى: ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ .

وقال سبحانه عنهم: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

وهكـذا يفرق القرآن الكريم بين طوائف أهل الكتاب فهم ليـسوا كلهـم على هذا الخلق السيئ، بل كان منهم من أنصفه القـرآن بذكـر محاسـنه إنصافا للحقيقة وتعليما لنا حتى نكون منصفين في أحكامنا.

– 6 –

إن ما ذكره القرآن عن اليهود ينبغي أن نضعه أمام أعيننا ونحن نتعامل معهم، لنتعرف مواقفهم التاريخية ونتعلم منها أنهم لا يـرعون في العهود إلاّ ولا ذمة وأنهم لا يكفون يسعون في الأرض فسادا، وأنهم لا يكفون عن إثارة الفتن والاضطرابات، وهـذا هـو الـدرس المـستفاد من إشارات القرآن الكريم إلى الـصفات التي يتحلون بها، حتى نعلم نحن مع من نتعامل، ومع مـن نعقـد الاتفاقـيات ونبرم العقود ونتعلم أن أبواق الدعاية الصهيونية قد شوهت الموقف العربي في نظر الغرب.

لقد آن الأوان أن يتنبه العرب والمسلمون إلى أهمية البعد الدينـي المحـرك الأساسي لهذا الصراع، هذا البعد الذي جمع شتات يهود العالم، ووحد كلمتهم وحدد أهدافهم، وجسد مقاصدهم في إقامة الدولة التوراتية من النيل إلى الفرات، هذا البعد الديني

هـو الـذي جمـع أموال اليهود من شتى بقاع الأرض لتكون أرصدة جاهزة تحت طلب إسرائيل.

هـذا الـبعد الديني هو الذي أسس (الصهيونية الصليبية) تلبية للنبوءة الكاذبة بعودة المسيح ليحكم العالم من أورشليم بعد قيام دولة إسرائيل.

وغـياب المسلمين عن الإحساس بهذا البعد الديني وأثره في القلوب جعل نصيبهم هو الفرقة والتشتت والخلافات الداخلية التـي فرقت الصف وأضعفت البنيان، ولا يسع أي مراقب لما يجـري فـي ساحة الصراع إلا أن يقارن بين الموقفين (طرفي النـزاع) هـم تـوحدوا وجمعوا الكلمة وتفرق العرب واختلفت كلمـتهم، هـم عـرفوا الأهـداف وحددوا المقاصد وغاب عن المـسلمين الهـدف الـواحد، وتفـرقت بهم السبل، هم أحسنوا اسـتغلال ثرواتهم وأحسنوا توظيفها، وأساء المسلمون استغلال ثـرواتهم ولـم يحـسنوا توظـيفها، هـم لم يتخلوا عن إعلان مرجعيتهم الدينية الزائفة، وتراجعنا نحن عن التمسك بمرجعيتنا.

لا يغيب عن أي مراقب للأحداث ولا عن المهتمين بها هذه المقارنـة الـسريعة التي تبين لنا بوضوح أين نحن... وأين هم، ولـيس هـذا مـن قبيل جلد الذات ولا من قبيل الإحساس المؤلم

بمـــرارة الموقـــف مـــع اعتبار ذلك كله، ولكنه محاولة لتصحيح المفاهيم المغلوطة للشباب والتاريخ، لقد مد العرب أيديهم بالسلام منذ 1973م وأعلن العرب أنها آخر الحروب ولكن هل مدت يدها إســـرائيل ليكون السلام أمراً واقعاً كما يسعى إلى ذلك العرب، أم أنهم أغمدوا سيوفهم ليستلوها مرة بعد مرة حتى يكتمل لهم تحقيق الوعد (من النيل إلى الفرات) كما صرحوا بذلك.

إنهـــا صيحات نتوجه بها إلى الجيل لكي نصحح مفهومنا عـــن هـــذا الصراع التاريخي، وأرجو أن يجد القارئ في هذه الدراسة ما يزيل عنه شبهة أو يصحح لـــه فهماً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد السيد الجليند

23 رجب 1428هـ

6 أغسطس 2007م

الفصل الأول

الصهيونية (مدخل تاريخي)

علاقة اليهود بأرض فلسطين:

انتهيـــنا فـــي لقـــاءات ســـابقة من الحديث عن قضيتي الاستشراق والتبشير وهما يمثلان جناحي الحوار بين المسيحية والإســـلام مـــنذ ظهـــور الإسلام إلى الآن، قضية الاستشراق والتبشير من أقدم القضايا التي مثلت وجسدت موقف النصرانية، أو الـــصليبية -إن شئت- موقف الصليبية الغربية من الإسلام، ومـــن الـــشرق، وانتهينا إلى أن بين هاتين الظاهرتين وحدة في الهـــدف، وقد يكون بينهما وحدة في الأسلوب أحيانا، وقد يكون بيـــنهما نوع من الفروق في الأسلوب أحيانا أخرى، لكن الهدف والغايـــة تـــتحد عـــند هاتين الظاهرتين، وهو الموقف العدائي الـــرافض للإسلام كدين سماوي، وللقرآن كوحي إلهي، وللنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- كرسول نبي.

(1)

نـــريد أن نكمل الدائرة بالحديث عن موقف اليهودية من الإسلام، وإذا كان الاستشراق، والتبشير يمثلان موقف الصليبية من الإسلام؛ فإننا نجد الحوار، أو الصراع -إن شئت- اليهودي للإســـلام يتمـــثل فـــي ظاهرتين تاريخيتين قديمتين قدم الإسلام نفـــسه، هاتـــان الظاهـــرتان هما: الماسونية، والصهيونية فكلتا الظاهرتين: الصهيونية، والماسونية يمثلان وجهين لعملة واحدة هي موقف اليهودية من الإسلام.

وأود فـــي الـــبداية أن أفـــرق بين الصهيونية واليهودية، فاليهودية الصحيحة ديانة سماوية نزل بها وحي الله تعالى على نبـــيه موسى -عليه السلام- ونزل بها كتابه التوراة على سيدنا موسى -عليه السلام- كمـــا نزلت بها الألواح على موسى -عليه السلام- ونحن نؤمن بمـــا صح من التوراة، وبما صح من الألواح، وبما صح منهما على نبي الله موسى -عليه السلام- والمسلم مطالب؛ لكي يصح إيمانه، وإسلامه أن يؤمن بنبوة موسى، كما هو مطالب أن يؤمن بنبوة عيسى -عليه السلام- ويؤمن في نفس الوقت بوحي الله الذي نزل على موســـى ممـــثلا في التوراة، وبوحي الله الذي نزل على عيسى ممثلا في الإنجيل.

وفـــي نفـــس الوقت نحن نؤمن بأن هاتين الظاهرتين قد امتدت أيديهما إلى هذين الكتابين بالتحريف والتبديل كما صرح بـــذلك القـــرآن الكريم، وعلينا أن نعرف من البداية أن اليهودية شـــيء، والصهيونية شيء آخر، كما سوف نعرف - فيما بعد- مـــا هـــي الـــصهيونية؟ وكمـــا فرقنا بين المسيحية الصحيحة، والـــصليبية المعاصرة ينبغي أن نفرق بين اليهودية الصحيحة، والصهيونية المعاصرة.

فـــنحن مطالـــبون بالإيمان باليهودية الصحيحة، كما أننا نـــرفض -وبـــشدة- الـــصهيونية المعاصرة، كما أننا مطالبون بالإيمـــان بالمـــسيحية الصحيحة، لكننا نرفض -أيضا وبشدة- الـــصليبية المعاصـــرة لنا الآن، لأن الأول منهما وحي سماوي والثاني منهما صناعة بشرية.

هذه بعض النقاط التي ينبغي أن نضعها أمامنا منذ البداية؛ حتـــى تتـــضح الرؤية أمامنا، وحتى لا تختلط الأوراق في ذهن البعض؛ فيخلط بين الصهيونية، واليهودية، كما حاول البعض أن يخلـــط بـــين الـــصليبية، والمسيحية، لا، هناك فارق كبير بينهما المسيحية الصحيحة وحي إلهي، لكن الصليبية المعاصرة صناعة، وفكـــر بـــشري، كـــذلك الـــيهودية الـــصحيحة وحي إلهي، أما الصهيونية المعاصرة، فهي صناعة، وفكر بشري، والفارق كبير

بـين ما نقرأه، فيما نزل على نبي الله عيسى، وما نزل على نبي الله موسـى، وما وضعته، وما حرفته عقول البشر في مزامير، وفي دساتير الصليبية من جانب، والصهيونية من جانب آخر.

(2)

ولعـل مـن المفـيد أن نلقي بعض الضوء على علاقة الإسـلام باليهودية، كما ألقينا بعض الضوء على علاقة الإسلام بالمسيحية قبل حديثنا عن الاستشراق، وعن التبشير.

فمن المعروف أن أول من ناصب العداء للرسول -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة المنورة هم اليهود عادوه، وعاندوه عمليًا على مستوى الحرب، وعقليًا وفكريًا على مستوى الخديعة، والمكر، وإثارة الشبهات.

ولعل الذين يقرءون السيرة النبوية، وبداية تاريخ صدر الإسلام يؤمن تماما بقسوة الحوار، وقسوة العداوة التي أظهرها اليهود في المدينة المنورة للرسول -عليه الصلاة والسلام- التي بلغت في بعض المواقف حد التآمر عليه، وقتله؛ إما بالسم أحيانا، وإما بإلقاء الأحجار الثقيلة، وهو جالس بجانب الجدار من جانب آخر.

في زمن الأمويين، والعباسيين أيضا نجد علاقة اليهودية بالإسلام لا تختلف عن علاقة اليهودية بالرسول -عليه الصلاة والسلام- حتى إننا نجد أن بين الأمويين، والعباسيين، وبين العصر الراشدي -عصر الخلفاء الراشدين- نجد أن التاريخ لم يتوقف، بل كانت هناك مؤامرات حاكها عبد الله بن سبأ، وهناك مؤامرات ترتب عليها قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وهناك مؤامرات ترتب عليها قتل الخليفة الزاهد عثمان بن عفان، ولا نبرئ الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية من أيدي اليهود.

ولعل دور عبد الله بن سبأ كان من أبرز الأدوار التي أججت نار الفتنة بين هذين الصاحبين الجليلين في بداية صدر الإسلام -رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

في العصر العباسي، والأموي وجدنا بعض اليهود يعلنون الإسلام، وتولى بعضهم المناصب الإدارية في بلاط الأمراء، لكنهم أيضا حاكوا الفتن، والدسائس؛ سواء في ذلك من وجد منهم في بلاد الشام، أم في الأندلس، أم في مصر، أم في جنوب الجزيرة العربية، وحتى في شمال أفريقيا، لم تخل هذه المناطق من مكائد أظهرها اليهود للإسلام والمسلمين في هذا الوقت المبكر من تاريخ الإسلام.

وأما من بقي على يهوديته، ولم يعلن الإسلام؛ فقد أصابهم بعض من الاضطهادات في البلاد التي وقعوا فيها، وتفرقوا في البلاد، لكنهم لم ينسوا -للحظة من اللحظات- موقفهم من الإسلام، وأن هناك وأرضا يحبون أن يعودوا إليها -وهي فلسطين- وتمخضت تاريخيًا هذه المواقف اليهودية التي لم يخل منها عصر من عصور التاريخ عن بلورة هدفين أساسين يمثل كل منهما غاية ومقصدًا لكل من يحمل الديانة اليهودية:

أما الهدف الأول: فهو إقامة دولة لليهود في أرض فلسطين، وبعض المناطق المجاورة لها بمضي الزمن.

أما الهدف الثاني: فهو محاولة السيطرة على العالم بأسره بعد أن تتحقق لهم المملكة التي يحلمون بها لتكون لهم السيادة على أناس هم يؤمنون أنهم خلقوا لخدمتهم فقط، يؤمن اليهود أن غيرهم خلق لخدمة اليهودي فقط، وتكونت جماعات كثيرة جدًا أخذت تبلور وتجسد هذين الهدفين بوسائل من التزوير أحيانا للتاريخ، ومن التزوير أحيانا للكتب المقدسة، ومن التزوير أحيانا لبعض الوثائق التاريخية، وكان من أخطر هذه الجماعات، أو الجمعيات هي: الصهيونية العالمية- والتي شكلت خطرا داهما على العالم عامة، وعلى الإسلام بصفة خاصة.

(3)

هذان الهدفان اللذان يسعى إلى تحقيقهما تاريخ اليهود كله، أيضًا من المهم أن نلقي الضوء عليهما؛ لأن محاولة الصهيونية العالمية الدعوبة لتحقيق هذين الحلمين اعتمدت على مجموعة من الأساطير التاريخية، ومجموعة من الأساطير الدينية حاولت الصهيونية العالمية أن تركز على الأساطير الدينية بالذات لتبين للعالم كله أن هذين الهدفين؛ إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، والسيطرة اليهودية على العالم هما وعد من وعود الرب -تبارك وتعالى- لأبناء إسرائيل، ولا بد من العمل على تحقيقهما تنفيذا لوعد الرب، وبناء على أن هذين الهدفين يعتمد كل منهما على أسطورة دينية؛ بدأت أيدي الصهاينة تمتد إلى الكتب المقدسة بالتزوير بالإضافة أحيانا، وبالحذف أحيانا أخرى، وبالتبديل وبالتحريف أحيانا أخرى؛ لتبين للعالم أن هذين الهدفين نزلت بهما التوراة على موسى -عليه السلام-.

ولكي يكون اليهودي يهوديًا صادقا؛ لا بد أن يعمل على تحقيق هذين الهدفين مهما كان موقعه الجغرافي، ومهما كانت الأرض التي يقف عليها؛ فلا بد أن يعمل، أو يساعد بما يستطيع على تحقيق هذين الهدفين.

وبدأت أسطورة الأرض تحاك حولها المؤامرات، ويوضع لها النصوص النزائفة في المزامير، وفي الأسفار الملحقة بالتوراة، والتي هي من صنع الصهيونية لتجسد قضية العودة إلى الأرض المقدسة في فلسطين، ولذلك أرى من المناسب أن أضع أمام حضراتكم بعض الملامح التاريخية التي تكذب هذه الافتراءات، وترفض هذه الافتراءات من واقع التاريخ، ومن واقع الحقائق التاريخية الواقعة أمامنا الآن، لنبين مدى تزييف التاريخ على أيدي هذه الجماعة الصهيونية، ومدى استعبادها لعقول الناس بمحاولة السيطرة عليها بالفكر الديني أحيانا، وبالقوة وبالبطش أحيانا أخرى.

إسرائيل : الاسم والأرض:

ما هو تاريخ بني إسرائيل، ودخول بني إسرائيل إلى أرض فلسطين؟

أولا: ما هي معنى كلمة إسرائيل؟ إسرائيل هذا هو اسم من أسماء أبناء إبراهيم -عليه السلام- نحن نعلم أن إبراهيم -عليه السلام- ولد له إسماعيل الذبيح، ثم إسحاق، ثم يعقوب، أطلق لفظ إسرائيل على نبي الله يعقوب، وكلمة إسرائيل تعني: شعب الله، أو ابن الله.

ونعلكم تلاحظون معي أن الاسم له دلالة دينية كلمة اسرائيل، اسم نبي، وهذه الدلالة الدينية إذا سمعها اليهودي، أو الصهيوني يحدث عنده من التداعي أن هذه دولة دينية أيدها الرب بوعده في التوراة، ولا بد من مناصرة هذه الدولة، وأيضا مما ينبغي أن نعرفه من وجه المقارنة بين كلمة إسرائيل وأي اسم لأي دولة إسلامية لا نجد أي دولة إسلامية تحمل اسم نبي، ولا رسول، ولا صاحب، ولا صديق، لأن التاريخ يؤكد أن اسم هذه الدولة يحمل معه معنى العصبية، ومعنى العنصرية التاريخية كما سنرى فيما بعد.

التاريخ يؤكد لنا أن بني إسرائيل قد دخلوا أرض فلسطين بوسيلة الغزو من الخارج، دون أن يكون لهم أي جذور تاريخية، أو أي تاريخ إقامة في هذه المنطقة، وقد صور جمهور المؤرخين دخولهم إلى أرض فلسطين على أنه انقضاض مجموعة من الرعاة الجياع الذين يبحثون عن مرعى لإبلهم، وأغنامهم؛ ليستقروا حولها؛ فتأكل الماشية، ويأكلون ويعيشون، ثم ينتقلون إلى مكان آخر فيه رعي جديد وهكذا.

فلم يكن دخولهم فيها أول مرة للإقامة، وإنما بحثا عن الرعي، بحثا عن الكلأ بحيث إذا انتهت مصادر الرعي

ومصادر الكلأ لإبلهم وماشيتهم؛ تركوها وانتقلوا منها إلى مكان آخـر، وكـان هـذا الوجود في أرض فلسطين يمثل في بعض جوانـبه المظهـر الأول لجماعة من بني إسرائيل على مسرح الـتاريخ بوصـفهم جماعة من البدو الرحل الذين يبحثون عن المرعـى، وعن الكلأ، ولا قرار لهم في أي مكان يقيمون فيه، وإنما يتنقلون وراء الرعي ووراء الأمطار، هذا كان أول دخول لبني إسرائيل إلى أرض فلسطين.

(4)

أيـضا لا يعـرف التاريخ أبدا، ولم يذكر التاريخ أن بني إسـرائيل كانت لهم دولة في أرض فلسطين قبل الوجود العربي بهـا، ولكن السكان الأصليين كانوا عربا يقيمون بها وينتمون إلى بني كنعان من الكنعانيين العرب، ويقول المؤرخون: إن اليهود لم تقم لهم قوة في هذه المنطقة إلا فترة خمسين سنة فقط، وحتى في هـذه الخمسين سنة كانوا محاطين بممالك أكثر قوة، وأرقى مدنية وحضارة كالمملكة المصرية القديمة، ومملكة فارس... إلخ.

والمـدة التـي أقاموا فيها أيضا لم تكن إقامة على سبيل الاسـتقرار، وإنما كانت إقامة طلبا للرعي، وبحثا عن الرزق،

وهـذه الظاهـرة ظاهرة الإقامة في أرض فلسطين كانت أشبه بحـياة رجـل أصـر على الوقوف وسط ميدان صاخب؛ فكان مصيره أن دهمته السيارة، هذا الوصف - أيها الإخوة - يذكره المؤرخ ويلز -وهو يؤرخ لحياة العبرانيين في أرض فلسطين.

كان حولهم من كل جانب ممالك قوية، ولذلك لم يستطيعوا أن يقـيموا فـي هذه الأرض إلا ريثما توجد حياة رعوية توجد أمطار ويوجد عشب فترعى الماشية، وينعمون بهذه الظاهرة، ثم ينصرفون منها إلى غيرها.

ومـن ناحية الأماكن والأمم المجاورة لهؤلاء البدو كانت علاقة عداء ولم تكن علاقة مؤاخاة، ولا حسن جوار، وإنما كما يـؤرخ لهـم ويلز في كتابه عن (قصة الحضارة) أن علاقتهم بالمجـاورين لهم كانت علاقة عداء كموقفهم من السلوقيين، في سوريا، والبابليين في العراق، والمصريين، والرومان، وفارس فهـؤلاء جمـيعا ناصـبوهم العداء، ودمروهم تدميرا، ثم جاء التدمير التاريخي الأول على يد بختنصر الذي جعل مملكة يهودا ولايـة تابعـة لبابل، وهذا الملك قد غزا هذه المنطقة أكثر من مـرة، وكان أكثرها شدة وقسوة تلك التي حدثت في عام 587م حين استولى على أورشليم، وأحرقها على آخرها، وهدم الهيكل، وأسر جميع سكان المدينة، وأخذهم أسرى إلى بابل.

وبعد فترة زمنية قد تبلغ نصف قرن تقريبا استعان بهم ملك الفرس "قورش" وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين بعد أن احتل هو مملكة بابل، وسمح لهم بالعودة إليها، ولكن كثيرين منهم فضلوا البقاء بعيدا عن أرض فلسطين، ووقع من عاد منهم تحت السيادة الفارسية، ولم تكن لهم لا دولة، ولا مملكة، ولا إقامة مستقلة، وإنما كانوا عبيدا لقورش، فهم انتقلوا من أسر بابل إلى أسر الفرس بقيادة قورش.

ثم تعرضت المدينة للتدمير الثاني بعد ذلك فقد دمرت على يد بطليموس الأول الذي كان يحكم مصر، فقد هدم المدينة، ودك أسوارها، وأخذ منهم عشرات الآلاف من الأسر، وكان ذلك في القرن الرابع قبل الميلاد تقريبا، ثم تكرر الغزو بعد ذلك، ومن يقرأ تاريخ هذه المنطقة يجد أنه لا يمضي قرن -وربما أقل- إلا ويغزوها أحد جيرانها، ويدمرها، ويدمر كل ما فيها حتى إنهم في سنة 63 ق.م دخل الجيش الروماني المدينة واستباح هيكلها وفتك بسكانها.

وفي عهد القائد الروماني "تيطوس" تم تدمير أورشليم وتدمير الهيكل تدميرا كاملا، وذبح اليهود فيها، وأسر من أسر من شعبها، ومنذ ذلك التاريخ انقطعت صلة اليهود تماما بفلسطين، فلم تقم لهم بها دولة، ولم يتأسس لهم بها حكم، وقد

تفرقوا في أقطار الأرض شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، واستمرت هذه المرحلة التي تسمى مرحلة الشتات أكثر من سبعة عشر قرنا من الزمان.

وظل الأمر كذلك إلى أن بدأ التفكير في العودة مرة أخرى إلى فلسطين. وشهد القرن التاسع عشر الميلادي نشاطا ملحوظا حول تحقيق هذا الحلم لأسباب تاريخية -ذكرنا بعضها ونحن نتحدث عن الاستشراق والتبشير، وعن دور المستشرقين ودور أوربا في هز كيان الخلافة العثمانية ومحاولة القضاء عليها- لأنه -أيها الإخوة- لم يتم إقامة هذه الدولة، أو التفكير فيها بشكل عملي إلا بعد أن وصلت الخلافة العثمانية بسبب المؤامرات التي حيكت حولها إلى مرحلة من الضعف الذي هيأ لأحد الصهاينة، أو مؤسس الصهيونية المعاصرة وهو تيودور هرتزل أن يقابل السلطان عبد الحميد؛ ليتفاوض معه على تأسيس دولة في أرض فلسطين، كما سنعرض لذلك فيما بعد.

هذه فكرة موجزة عن قضية الأرض، وقضية وجود إسرائيل في هذه المنطقة من العالم وجودا تاريخيًا، وهل لها أصول، أو حقوق تاريخية، أو ليس لها حقوق تاريخية؟ وقد يزداد الأمر تفصيلا فيما بعد -إن شاء الله تعالى.

• • •

الصهيونية معنى ودلالة

ونأتي الآن إلى الحركة الصهيونية، أو الصهيونية العالمية، مـا معنـى كلمـة الصهيونية؟ ما سبب هذه التسمية؟ ما دلالتها؟ ومتى ظهرت على السطح الثقافي، والسياسي والعالمي؟ لأن هذه الأسئلة تقفنا على التاريخ الحقيقي لهذه الحركة الصهيونية.

أولا: كلمة الصهيونية هي: نسبة إلى جبل، أو تل موجود في جـنوب بيت المقدس يسمى جبل صهيون، وتنسب إليه الحركة، وأحيانا تطلق كلمة صهيون على القدس كلها، ليس على الجبل الذي يقع في جنوب بيت المقدس فقط، وإنمـا قد يطلق أحيانا على القدس كلها، وأحيانا يطلق على الجزء الجنوبي من بيت المقدس، ولذلك سميت هذه الحركة بالحركة الصهيونية نسبة إلى هذا الجبل. لماذا؟.

لكثـرة الأسـاطير التـي حاكها أبناء صهيون حول هذا الجبل، وحول أكذوبة أن الرب قد وعد إسرائيل وأبناء إسرائيل -بل أكثر من هذا- قد وعد نبي الله إبراهيم وذريته -من بعده- أن يهـب لهـم هذه الأرض، وما حولها، وهذه إحدى الأساطير الدينـية التـي أسس بنو صهيون دولتهم عليها، أسطورة الوعد الإلهي بالأرض المقدسة.

إذا كانت التسمية نسبة إلى جبل صهيون، فما معنى كلمة الصهيونية؟ هل هي جماعة؟ هل هي جمعية؟ هل هي مدرسة فكرية؟ يعرف المؤرخون الحركة الصهيونية ربما بأنها جمعية لم تؤسس بشكل شرعي، وإنما مجموعة من المفكرين -كما تقول (دائرة المعارف البريطانية)- تقول: "إن اليهود في طول التاريخ وعرضه يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، وإلى اجتماع الشعب اليهودي في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء الهيكل، وإقامة عرش داود في القدس مرة ثانية، وأن يتولى إمارتها أمير من نسل داود". (دائرة المعارف البريطانية) وهي تشرح فكرة تأسيس الجمعية الصهيونية: أن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، واجتماع الشعب اليهودي من شتى بقاع العالم في أرض فلسطين؛ ليستعينوا بما شاءوا على إعادة الدولة اليهودية، ويقوموا ببناء الهيكل، وإقامة عرش داود في القدس، وأن يتآمر أو يتولى إمارتها أمير من نسل داود.

ثانيا: فيمكن من هذا التحليل أن نعرّف الحركة الصهيونية بأنها: حركة سياسية دينية تستخدم الوسائل المختلفة؛ لتجميع اليهود من شتى أنحاء العالم على أرض فلسطين؛ ليعملوا على إقامة الدولة العبرية اليهودية، وبناء الهيكل، واستعادة مجد بني إسرائيل مرة ثانية.

وعند قراءتنا لتاريخ هذه الحركة سوف نرى أنها تستخدم الوسائل غير المشروعة أكثر من الوسائل المشروعة لتحقيق هذا الحلم.

والبعض يعرفها بأنها: حركة قومية يهودية ينتمي إليها يهود الشتات من العالم، ولا علاقة لهذه الحركة العنصرية باليهودية الصحيحة إطلاقا، لماذا؟ لأنهم يرون أن اليهودية الصحيحة تعتمد على نصوص من التوراة، أما الحركة الصهيونية المعاصرة؛ فإنها تعتمد، وتستمد عقائدها من (التلمود) وتحاول أن تجد لها نسبا تاريخيًا في التوراة عن طريق تحريف النصوص أحيانا، واختلاق الأسفار أحيانا وبعض المفكرين يحاول التخلص من هذه الحركة العنصرية، ويرى أنها حركة لا إنسانية؛ لأنها تحاول أن تزيف الحقائق الدينية لصالح الأهداف السياسية، وقد يزداد الأمر وضوحا فيما بعد.

إذن يمكن أن نختصر التعريف في عبارات موجزة أن الحركة الصهيونية: جمعية كونها، وشكلها بعض مفكري اليهود الذين حاولوا أن يجمعوا اليهود من الشتات، ويعملوا على إقامة الهيكل مرة ثانية، وإقامة دولة إسرائيل مرة ثانية، وأن يحكم هذه الدولة أحد أبناء داود، وتقوم هذه الأفكار التي يلتفون حولها على مجموعة من المبادئ والأساطير التي اختلقوها ونسبوها إلى (التوراة).

وسوف أتلو على حضراتكم بعض النصوص الزائفة التي يحـتكم ويرجع إليها بعض الصهيونيين تأييدا لأكذوبة وأسطورة أن الحركة الصهيونية حركة دينية ينبغي أن يلتف حولها كل من ينتمي إلى اليهودية.

ثالثا: فهـذه التـسمية إذن لها بعد ديني، كما أن تسمية دولة إسرائيل بإسرائيل أيضا لها بعد ديني، عليكم أيها الأخوة ألا تنسوا هاتين الحقيقتين: كلمة صهيون نسبة إلى جبل مقـدس، وكلمة إسرائيل نسبة إلى نبي الله وهو مقدس؛ فكـأن التسميتين يحملان معهما دلالة دينية، ويستدلون على ذلك بنصوص من التوراة -كما سنرى فيما بعد.

أولا: قداسـتها: إن كلمـة صهيون هذه اعتبرها اليهود، أو الحـركة الصهيونية تعتبرها كلمة مقدسة؛ لأنها تعبر عـن مكان مقدس، ويستدلون على تقديس هذا المكان بكثير من النصوص التي ألصقوها بالتوراة، وخاصة بعـض الأسـفار التي ربما يجد القارئ لكل من هذه الأسـفار -لأول وهلـة- أن هذا الكلام الموجود فيها يستحيل أن ينسب إلى الرب -تعالى- وتعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ممـا جـاء في (سفر أشعياء) سفر 52 من 1: 7 بالنسبة لجـبل صهيون بالذات، دلالة على أن هذا الجبل تقدسه الحركة الـصهيونية، مـاذا جـاء في هذا السفر يقول: "هذا على لسان الله -سبحانه وتعالى- وحاشا لله أن يقول كذلك:

1- اسـتيقظي، استيقظي، البسي عزك يا صهيون، البسي ثياب جمالـك يـا أورشليم المدينة المقدسة؛ لأنه لا يعود يدخلك -فيما بعد- أغلف، ولا نجس (الأغلف، والنجس يعنون بهما النـصراني، والمسلم) انتفضي من التراب قومي اجلسي يا أورشـليم انحلي من رباط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون، ما أجمل على الجبال قدمي المبشر المخبر بالسلام، المبشر بالخيـر، المخبـر بالخلاص القائل لصهيون: قد ملك إلهك الأرض. وعـندما قالـت صهيون: قد تركني الرب وسيدي نـسيني؛ كـان رد الـرب عليها كما يدعي اليهود: حي أنا يـا صهيون إنك تلبسين كلهم كحلي، وتنطقين بهم كعروس، هكـذا قال السيد الرب: ها إني أرفع إلى الأمم يدي، وإلى الـشعوب أقيم رايتي؛ فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن إليك يا صهيون.

وفي أخبار الأيام الأولى ورد أن الفلسطينيين قد انتصروا على شاؤل ملك اليهود وقتلوه وسائر ولده، فولى بنو إسرائيل داود ملكا عليهم متوسلين به أن يقبل ذلك؛ حتى يتمكنوا من قتل الفلسطينيين، وقد استجاب داود لطلبهم، واتخذ من جبل صهيون حصنا له.

تقول التوراة: جبل صهيون هو جبل الرب، ومسكنه، ومستقر بيته، وبه الهيكل، وبه يمثل جزء من عقيدتهم القائمة على خصوصية الإله؛ ففي إطار الحديث عن داود -عليه السلام- في العهد القديم ورد أن داود أراد أن يبني بيتا للرب، ولكن الله نهاه عن ذلك لكثرة حروبه وإراقته للدماء وعدم أهليته لهذا العمل -كما أخبره- بأن ولدا من نسله يختاره الرب يكون له أبا، ويكون الولد له ابنا هو الذي سيبني ذلك الهيكل، وقد بنى سليمان بيت الرب هذا؛ تحقيقا لوعد الإله؛ ليجلس على كرسي مملكة الرب على إسرائيل.

هذه كلها نصوص تبين مدى التصاق الفكرة الصهيونية بالعقيدة الدينية التي يختلقون لها الأكاذيب، ويلصقونها بالتوراة.

2- ورد في (سفر أشعياء): "ارفعي عينيك يا صهيون ارفعي عينيك حواليك، انظري قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك يأتي

بنوك من بعيد، وتحمل بناتك على الأيدي، حينئذ تنظرين، وتنيرين، ويخفق قلبك ويتسع؛ لأنه تتحول إليك ثروة البحر، ويأتي إليك غنم الأمم، هكذا تكلم الرب إله إسرائيل قائلا: اكتب كل الكلام الذي تكلمت به إليك في سفر؛ لأنه ها أيام تأتي يقول الرب: وأرد سبي شعبي لإسرائيل، ويهوذا، وأرجعهم إلى الأرض التي أعطيت آباءهم إياها؛ فيمتلكونها من البحر إلى النهر".

ثانيا: محرمة على غير اليهود:أيضا نصوص تصرّح بأن هذه الأرض محرمة على غير اليهود، ونصوص تصرح بأن جبل صهيون جبل مقدس، ونصوص تصرح بأن هذه الأرض لإسرائيل لا لغيرها.

3- ورد في (سفر هوشه): لأن بني إسرائيل سيقعدون أياما كثيرة بلا ملك، وبلا رئيس، وبلا ذبيحة، وبلا تمثال، بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم، ويفزعون إلى الرب، وإلى جوده في آخر الأيام؛ فتعطى لهم الأرض، وترنمي .

افرحي يا بنت صهيون؛ لأني ها أنا ذا آتي، وأسكن في وسطك -هكذا يقول الرب- فيتصل أمم كثيرة بالرب في ذلك

اليوم، ويكون لي شعبا؛ فأسكن في وسطك؛ فتعلمين أن رب الجنود قد أرسلني إليك، والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض، ويختار أورشليم، واسكنوا يا كل البشر قدام الرب؛ لأنه قد استيقظ من مسكن قدسه في جبل صهيون.

هناك نصوص كثيرة في حقيقة الأمر لا تجد فيها روح إله يتكلم، ولا معاني ربوبية تحنوا على عبادها، وإنما هي روح عنصرية سياسية، وربما اقتصادية حاكها هؤلاء؛ لينسجوا في ضوئها أسطورة الأرض وأسطورة العودة إلى جبل صهيون؛ حتى إنك تقرأ أمثال هذه العبارات:

4- ورد في (سفر عويدا) مثلا: "وأما جبل صهيون؛ فتكون عليه نجاة ويكون مقدسا، ويرث بيت يعقوب ميراثهم، وسبي هذا الجيش من بني إسرائيل؛ يرثون الذين هم من الكنعانيين، وسبي أورشليم الذين هم في صفارد؛ يرثون مدن الجنوب، ويصعد مخلصون على جبل صهيون ليدينوا جبل عيسو، ويكون الملك للرب إشارة إلى حدود الدولة الصهيونية من الشمال والجنوب والشرق والغرب.

وأيضا نجد في هذه النصوص بعض الأفكار العنصرية التي بنى عليها مؤسس الحركة الصهيونية السياسية المعاصرة

أسطورة: شعب الله المختار، وأسطورة أن إسرائيل اصطفاهم الله دون سائر البشر حتى إن الوعد في بعض النصوص يرد أنه لأولاد إبراهيم، وينسى مؤسس الحركة الصهيونية أن العرب أيضا هم من ولد إبراهيم، ويجعل الوعد خاصا بمن؟ بنسل إبراهيم من أبناء يعقوب فقط!.

نجد فيها فكرة أن: "أرض إسرائيل، لا يوضع لها حدود نهائيا، وإنما نجد في النصوص حيث يوجد قدمك -أيها الجندي- فهي آخر ملكك.

ونجد فيها نصوص أنهم لا يسمحون لغير اليهود بالإقامة في وسط هذه الأرض؛ لأنهم سيكونون كالمناخيس في ظهورهم فكرة العداء، وفكرة القهر، وفكرة السيطرة ينطق كل حرف من أحرف هذه النصوص بمعاني الغدر والخسة والندالة والسطو على أموال وعلى أرزاق الآخرين.

هذه بعض النصوص -كما قلت- التي تؤيد الأسطورة الدينية التي بنيت عليها قضية العودة إلى الأرض وقضية نسبة الحركة إلى جبل صهيون باعتباره جبلا مقدسا.

إذن أستطيع أن نقول: إن هذه الحركة تأسست على فكر ديني عقائدي تخلل هذا الفكر الديني أهداف سياسية، وتخلل هذا

الفكـــر الدينـــي أفكـــار عنصرية، ونستطيع أ ن نلمح في هذه النـــصوص موقـــف الحـــركة الصهيونية من أصحاب الديانتين التاليتـــين؛ المـــسيحية، والإســـلامية حـــيث يصفون المسيحية، والإســـلامية بالنجس، والغلف إشارة إلى هاتين الديانتين، ومن يدين بهم.

* * *

الفصل الثاني

الجذور التاريخية لحركة الصهيونية العالمية

مـــا هـــي الجذور التاريخية لهذه الحركة الصهيونية؟ هل هـــناك عام محدد أو عقد محدد من الزمن يمكن أن نعتبره بداية طبيعـــية لهذه الحركة السياسية، أو الصهيونية؟ في واقع الأمر مـــن الصعب أن نجد عاما نستطيع أن نجعله بداية طبيعية لهذه الحـــركة كحـــركة تاريخـــية، لكن يمكن أن نحدد بداية طبيعية للـــصهيونية السياسية والقومية بالذات، ونحن نتكلم عن "تيودور هرتزل" مؤسس الصهيونية المعاصرة، لكن الصهيونية التاريخية لم تكن وقفا على "تيودور هرتزل" وإنما يأتي هذا الرجل ممثلا حلقـــة فـــي سلسلة امتدت هذه السلسلة تاريخيا إلى ما قبل ذلك بقرون وقرون.

ولـــذلك أود أن أنبه هنا إلى أن هناك رباطا تاريخيا بين الماســـونية العالمـــية والـــصهيونية العالمية، الماسونية العالمية كحـــركة يهـــودية، والـــصهيونية العالمية حركة يهودية، أيهما أسبق؟

ربما تكون الماسونية من ناحية الجانب التاريخي، وربما أيضا تكون الصهيونية من جانب العمل، والنشاط التاريخي، ولعل كثيرا من المؤرخين يرون أن الحركتين قد نشأتا -ربما- في وقت واحد، ولهدف واحد -وإن اختلفت التسميات، واختلفت حقول النشاط، ووسائل النشاط كما سنرى فيما بعد.

(1)

لكن على أية حال نحن نجد أن بعض المؤرخين ينبه أن تاريخ الصهيونية يمكن تقسيمه إلى مراحل أربعة خاصة أننا نجد هذا التقسيم عند أشهر المؤرخين اليهود في مصر، وهو ليفي أبو عسل، يقول في تأريخه للحركة الصهيونية في كتابة "يقظة العالم اليهودي" والذي حدد فيه تاريخ الحركة الصهيونية بأربعة مراحل فقال: "نحن إذا أمعنا النظر جيدا نرى أن تاريخ الصهيونية يتناول أربعة أزمنة مختلفة:

الأول: هو زمن التوراة، والثاني: هو الزمن السابق على تيودور هرتزل، والثالث : الزمن المعاصر لتيودور هرتزل، والذي يبتدئ من سنة 1904م وينتهي بنهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1918م، أما الزمن الرابع: فربما يمتد ليشمل وعد

بلفور الذي كان شديد الإعجاب بالفلسفة اليهودية كما كان شديد التعاطف والتأثر بما جاء في التوراة عن الشعب المختار والوعد الإلهي بأرض فلسطين، وربما يمتد أثر هذا الموقف إلى وقتنا الحاضر الآن.

هذا التقسيم ليس تقسيما دقيقا، لكنه تقريبي، وعلى كل حال، وكان أول من شيد صرح الصهيونية، ووطد دعائمها، ونشر مبادئها بشكل منظم، وربما شكل مؤسسي هو تيودور هرتزل الذي سوف نتحدث عنه -فيما بعد- إنما قبل هذا التاريخ كان النشاط الصهيوني -ربما- كان يميل إلى الفردية أكثر منه إلى الجماعية، ولم تعرف الصهيونية روح العمل الجماعي إلا في القرن التاسع عشر، وربما في بعض عقود متأخرة من القرن الثامن عشر، وما قبل ذلك كانت عبارة عن جهود فردية آمن بها المحافظون، وعملوا على تنشيط الدعوة إلى أفكارهم، وأعلنوا فكرة العودة إلى أرض فلسطين التي تسللت هذه الدعوة، والتف حولها الصهيونية المنظمة فيما بعد.

ولكثرة الخلافات حول تاريخ هذه الحركة نجد أن بعض المؤرخين يغالي أحيانا فيصل بتاريخها إلى نبي الله موسى عليه السلام ونجد أن ليفي أبو عسل مؤرخ هذه الحركة يقول:

"إن موسى عليه السلام كان أول من شيد صرح الصهيونية، ووطد دعائمها، ونشر مبادئها" لكن -أيها الأخوة- إن الواقع أثبت أن الصهيونية -كما نقرأ تاريخها- ليست إلا حلقات في سلسلة لا يمكن العودة بها إلى نبي الله موسى عليه السلام [1].

(2)

كما نجد بعض المؤرخين في (دائرة المعارف البريطانية) أيضا يمد هذه الحركة بجذورها، ويحاول أن يضع لها حلقات، أو مسافات تاريخية ترتبط كل مسافة بشخص معين، فيبدأ بحركة المكابيين التي أعقبت العودة من السبي البابلي، والتي كان من أول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان، وهذه العودة تمت على يد قورش ملك الفرس .

والحركة الثانية يؤرخ لها "بيباراكوخيا" هذا اليهودي الذي أثار الحماسة في بني قومه، وحثهم على السعي للتجمع في أرض فلسطين، وإقامة الصلاة فوق جبل صهيون.

(1) راجع في تقسيم الحركة، ص16-22 من كتاب يقظة العام اليهودي، وانظر كتاب: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، ص60، تأليف إسماعيل الكيلاني، طبعة المكتب الإسلامي، دمشق.

ثم تمتد الحركات رويدا رويدا إلى أن يصل بنا إلى حركة منشئة بني إسرائيل التي تمت سنة 1604 وكان يدعوا إلى توطين اليهود في بريطانيا؛ توطئة لإعادتهم إلى أرض فلسطين، ويبدو أن هذه الحركة كانت النواة الأولى للصهيونية الحديثة التي وجدت لها أرضا خصبة في بريطانيا ترعرعت، ونمت، واستطاعت -في مدى ثلاثة قرون- أن تسخر جميع القوى الإنجليزية في تحقيق أهداف اليهود في فلسطين.

ويبدو أن هذه الفترة التاريخية هي التي شهدت حركة الإصلاح الديني على يد "مارتن لوثر" والتي شهدت أيضا انتقالا نوعيًا للعلاقة بين المسيحية واليهودية -من جانب- على يد "مارتن لوثر" والتي بدأت تشاهد، أو تزامن قضية الإحساس بضرورة الخلاص من اليهود من أوربا، من كل دول أوربا، وبدأت حالة الكراهية لليهود في أوربا، والعمل على تجميع شملهم في أرض فلسطين مستعينين أيضا بالأساطير الدينية التي أسستها الحركة الصهيونية قبل ذلك.

وكثير من المؤرخين يعتبرون هذه الفترة أخصب الحركات التي تجمعت حولها عواطف الأوربيين خاصة المثقفين منهم؛ لتشحذ همم وعقول الأوربيين بالتعاطف مع الحركة

الـصهيونية، ودعوة اليهود من الشتات، ومناداتهم بالعودة إلى أرض فلـسطين إحياء للمملكة الداودية والعمل على إعادة بناء الهيكل في أرض فلسطين، وبالذات على جبل صهيون.

مـن المهـم أن نشير إلى بعض الحركات التي ارتبطت بأسـماء معيـنة؛ حتـى نصل إلى مؤسس الحركة الصهيونية الـسياسية العالمـية، والذي أعطاها بعدا تاريخيا على مستوى العالم، وهو "تيودور هرتزل".

فعلـى سـبيل المثال وجدنا حركة "شبتاي ليفي" في سنة 1676 تـاريخ وفـاة هذا الرجل، هذه الحركة تولى قيادتها هذا المفكـر "شبتاي ليفي" وكانت من أشد الحركات الصهيونية في وقـتها عنفا، وتعصبا في نهاية القرن السابع عشر تقريبا، حتى إن هذا الرجل ادعى أنه المسيح المنتظر.

ومـا لبثت هذه الحركة أن أحدثت رد فعلي عكسي، فجاء "مندلـسون" يدعو اليهود والمنتمين إلى الحركات الصهيونية أن يتقـبلوا العـيش مع جيرانهم في البلاد التي يعيشون فيها، وأن يكـتفوا بالجانـب الروحي من الديانة اليهودية، ويهملوا الجانب الـسياسي، هذه العبارة مهمة جدا في هذه المرحلة من التاريخ؛ لأنهـا تدلـنا علـى أن أهدف الحركة الصهيونية -وإن تشبثت

بنـصوص دينية- إلا أنها لم تكن دينية خالصة، وإنما كان لها أهداف سياسية ربما كانت هي الأغلب فيما بعد.

نابليون والصهيونية :

(3)

وأيـضا مـن الحـركات التـي كان لها أثر كبير الحركة الصهيونية التي قادها "نابليون بونابرت" قائد الحملة الفرنسية على مـصر، وعلـى الشرق هذا القائد الذي زورت حملته على أنها جـاءت إلى مصر بقصد التنوير، وبقصد نشر الحضارة، وبقصد نـشر العلـم، ولكن الأهداف الحقيقية لهذه الحملة قد أعلن عنها نابلـيون بونابـرت -نفـسه- في وثائق أدعوكم إلى قراءتها في الكـتاب العظـيم الذي جمعه وطبعه -في شكل وثائق تاريخية- الـصحفي محمـد حسنين هيكل في كتاب بعنوان: (المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل).

فـي هـذه الوثـيقة اعترف نابليون بأنه كان على علاقة بالـيهود، وأنـه صاحب الدعوة إلى المجلس الأعلى اليهودي في سنة 1806 للاجتماع بهم لإثارة حماستهم، وأطماعهم وتحريضهم علـى مـساندته فـي احتلال الشرق العربي واعدا إياهم بمنحهم أرض فلـسطين، في الوقت الذي كان اليهود فيه في فرنسا كانوا

قـد بـدءوا نشاطا إيجابيا منذ 1798 تمكن كتابهم وخطباؤهم من إثارة الحماسة اليهودية؛ لإعادة بناء الدولة في أرض فلسطين[1].

وقـد استغل نابليون عواطف اليهود؛ فحرضهم على جمع الأمـوال لتمويل حملته على مصر، وقد ألقى أحد حكماء اليهود خطابا خطيرا في هذا الاجتماع كانت كلماته كلها عبارة عن مادة لكـتاب ظهر -فيما بعد- بعنوان (بروتوكولات حكماء صهيون) حـيث حث الفرنسيين فيه، أو اليهود بالذات على التضحية بالمال مـن أجـل العودة، وبناء الدولة، وبناء هيكل أورشليم، كما حثهم علـى تـشكيل مجلس ينتخبه اليهود المقيمون في البلدان التالية، وحدد هذه البلاد ابتداء من إيطاليا، وسويسرا، والمجر، وبولونيا، والـسويد، وألمانيا، وتركيا وتكوين مجالس منتخبة في هذه البلاد على أن تتولى تلك اللجنة في كل بلد دراسة وسائل العودة لليهود المقيمين في هذه البلاد إلى أرض فلسطين.

أخواني القراء تأملوا معي هذه الملاحظة؛ لأنها على جانب كبيـر مـن الأهمـية في هذا الاجتماع الذي دعاهم إليه نابليون بونابـرت، وقـف أحد حكماء صهيون -على مرأى ومسمع من

(1) انظر: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل: محمد حسنين هيكل، ص 31-32، طبعة دار الشروق.

بونابرت الذي ادعى أنه جاء؛ لنشر التنوير والحضارة والعلم في الشرق- ماذا قال هذا الرجل كان من أهم ما دعا إليه أن يؤسس فـي كل بلد أوربي جمعية، أو مجلس ينتخبه اليهود المقيمون في هذا البلد، أو تلك تكون مهمة هذا المجلس العمل على جمع اليهود المقيمـين في هذا البلد، وإثارة حماستهم، وأن يبحثوا معا وسائل العودة لهؤلاء اليهود إلى أرض فلسطين.

لـو استقرأت أسماء البلاد الأوربية التي ذكرها هذا المفكر فـي هذا اللقاء تجدها شملت جميع دول أوربا بلا استثناء، مجلس يؤسس في كل بلد أوربي يبحث عن أفضل الوسائل لعودة اليهود إلى أرض فلسطين بل لقد ذكر ما هو أنكى وأدهى من هذا.

صـرح بهذه العبارة: دراسة تلك اللجنة لأفضل الوسائل المـتاحة للعـودة إلى أرض فلسطين؛ للاستيلاء على مقدرات العـالم بعـد وضع السبل المؤيدة إلى ذلك، وتكون قرارات هذه اللجنة ملزمة لجميع يهود العالم.

ثـم بـدأ هذا المفكر في هذا الاجتماع أيضا يحدد المناطق الجغـرافية المؤسسة لدولة إسرائيل، فهي تبدأ من الوجه البحري فـي مصر؛ حتى يتمكنوا من السيطرة على البحر الأحمر، وعلى مـياه النـيل، ثم يتعاونون من أثيوبيا والحبشة، وهي البلاد التي

كانت تقدم للملك سليمان الذهب، والعاج، والحجارة الكريمة، كما أن الإقامة بفلسطين سوف تسهل الاتصال بفرنسا -من جانب- وإيطاليا وأسبانيا عن طريق البحر الأبيض -من جانب آخر.

ثم بدأ يتحدث عن مزايا موقع فلسطين ومواردها، وأثر ذلك في قوة الدولة المرتقب ميلادها، تأملو معي مليًا ما جاء في هذا الخطاب من تحديد جغرافي للدولة، ومن دعوة اليهود الموجودين في أوربا قاطبة للعودة إلى فلسطين، ودعوة نابليون نفسه، واستعانته باليهود لكي يؤسسوا ويمولوا حملته على الشرق.

وهنا سؤال مهم جدًا: هل بعد ذلك يصح لمؤرخ أن يدعي -زورًا- أن حملة نابليون على مصر كانت هي بداية عصر التنوير في مصر، وأن القصد من هذه الحملة كان هو نشر العلم والمدنية في أرض مصر؟ أظن بعد هذه التصريحات لم يعد هناك مبرر لتزييف أكثر في تاريخ المنطقة وفي تاريخ هذه الحملة بالذات.

بعد حركة نابليون نجد في مسيرتنا التاريخية الحركة القوية التي قادها رجال المال اليهود بقيادة عائلة "روتشيلد" فقد قدموا الأموال الطائلة لشراء الأراضي في فلسطين، وبناء المستعمرات منذ أواسط القرن التاسع عشر وساعدهم على ذلك

بعض اليهود الذين تظاهروا بالنصرانية حتى وصلوا إلى رئاسة الوزراء في بريطانيا، مثل اللورد "بكسون فيلد" رئيس وزراء بريطانيا في عهد الملكة فيكتوريا، ومثل صاحب وعد بلفور فإن أصله يهودي أيضا.

(4)

ثم نصل بعد ذلك إلى الحركة الكبرى التي قادها المؤسس الحقيقي للصهيونية المعاصرة، وهو الصحفي النمساوي "تيودور هرتزل" الذي ولد في سنة 1860 توفي 1904 وسوف أتكلم عن هذا الرجل بشيء من التفصيل -فيما بعد- لكن الذي يهمني هنا هو أن نجعل هذا الرجل، وهذه الفكرة التاريخية التي نحن بصددها بداية التأسيس الحقيقي للصهيونية المعاصرة، أو للصهيونية ما بعد هرتزل، فيمكن اعتبار ما قبل هرتزل مجموعة حلقات أدت كلها -وبطبيعة البعد التاريخي- إلى تزايد نشاط الحركة الصهيونية جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، إلى أن وصلت إلى قمتها في عهد تيودور هرتزل، وقبل أن أتكلم عن هذا الرجل، وعن نشاطه علينا أن نضع هذا التاريخ أمام أعيننا 1904 أواخر عهد الدولة العثمانية وفي خلافة السلطان

عـبد الحميد، وقلنا -ونحن نتكلم عن الاستشراق والتبشير- أن مما تعاون عليه الاستشراق مع الاستعمار مع التبشير هو العمل علـى سقوط الدولة العثمانية، وأن مما تعاون عليه الاستشراق والتبشير والاستعمار، وحالفهم فيه مؤسس الصهيونية المعاصرة أن أتـوا بـ"مـصطفى كمال أتاتورك" الماسوني الصهيوني اليهودي الذي تربى في أحضان يهود الدونمة، وربوه في نوادي ألمانـيا علـى الفكر القومي، وتولى بنفسه قيادة حركة الاتحاد والترقي التي عملت على إسقاط الخلافة العثمانية.

* * *

مرحلة التأسيس للصهيونية المعاصرة

إذن كـأن تـيودور هرتـزل على موعد مع هذا الظرف التاريخـي الـذي هيأ لـه فرصة ساعدته على أن يحقق أحلام الـصهيونية المعاصرة فدعا إلى مؤتمر عقد في "بال" بسويسرا، وطـرح فيه مجموعة من الأفكار لتأسيس هذه الدولة التي سميت فـيما بعد (بروتوكولات حكماء صهيون) وقد صرح هذا الرجل بعـد المؤتمـر بقوله: "اليوم ولدت الدولة اليهودية، وبعد خمسين عامـا سيراها العالم بالتأكيد" هذا الكلام تم في سنة 1895 تقريبا وصـرح أن الدولة الإسرائيلية أو الدولة الصهيونية سوف يراها العالم بعد خمسين عاما، ولو راجعنا التاريخ سوف نجد أن ميلاد الدولـة الحقيقـي كـان في 1948 وكان قرار التقسيم، والمسافة الـزمنية، المحـصورة بين مؤتمر "بال" بسويسرا وتاريخ ميلاد الدولة تقريبا استغرق هذه الفترة التي أشار إليها تيودور هرتزل.

ومـن المهـم أن أشـير إلـى الأمور التي تضمنها هذا المؤتمر، والتي تمخض عنها هذا المؤتمر؛ لكي أضع هذه البنود أمـام إخوانـنا العلمانيين الذين يتهاونون في العناصر المكونة

للهوية العربية الإسلامية عليهم أن يروا -الآن- وصايا تيودور هرتزل لبني قومه، ويتأملوا في أنفسهم ماذا يطرحون على أبناء جلدتهم الآن؟!.

- بعضهم ينادي باللغة العامية مكان الفصحى، وبعضهم ينادي بإلغاء الإعراب، وبعضهم ينادي بفصل الدين عن الدولة، وبعضهم، وبعضهم..

أدعوهم أن يتأملوا وصايا هرتزل في هذا المؤتمر، ماذا قال هرتزل بعد أن صرّح بميلاد هذه الدولة بعد خمسين عاماً؟

1- لقد تم الاتفاق في هذا المؤتمر -أيها الإخوة- على أن أول ما يعمل به أبناء صهيون التنشيط المستمر، والدعوة التي لا تنقطع على تعليم اللغة العبرية لأبناء اليهود،

2- وإحياء الآداب اليهودية في مضمونها اللغوي الكلاسيكي، التي كانت قد ماتت، واندثرت منذ عشرات القرون، لكنه لكي يؤسس دولة، لكي يبني قومية، لكي يضع نقطة يلتف حولها أبناء صهيون عليه أن يحي هذه اللغة التي تمثل في نظره، وفي نظر بني جلدته رمز الوحدة الصهيونية، رمز الالتفاف حول الكتاب المقدس، اللغة العبرية، والآداب اليهودية.

3- ثم ماذا؛ العمل على إنشاء صندوق تمويل للمشاريع اليهودية يمول عن طريق الجهود الذاتية مع وضع المنهج الأمثل للانتفاع بتلك البقعة المباركة من كافة جوانبها.

4- كما تم الاتفاق في هذا المؤتمر على تكرار عقد المؤتمرات؛ لتحقيق الآمال المرجوة لليهود في أرض فلسطين.

وقد توجه الصهيوني "هرتزل" بعد ذلك إلى السلطان عبد الحميد؛ لكي يفاوضه في تأسيس الوطن القومي لليهود على أرض فلسطين، ونحن نعلم أن هذه البقعة المباركة كانت تحت ولاية السلطان عبد الحميد باعتبارها إحدى دول الخلافة العثمانية، وتوهم هرتزل أن السلطان عبد الحميد بمقتضى الحالة المرضية حيث كانوا يسمون الخلافة العثمانية: بالرجل المريض- بمقتضى إحساس هرتزل بهذه الحالة المرضية للدولة العثمانية، كان قد توقع بأن السلطان عبد الحميد سوف يتهاون ويتنازل عن هذه البقعة المباركة للصهيونية، وظن ذلك تيودور هرتزل، وأخذ يرسل رسله إلى السلطان عبد الحميد، لكي يحدد له موعدا للقائه ليتفاوض معه على أن يقطعه هذه الأرض؛ لإقامة الدولة الصهيونية عليها. وكان يحمل معه بعض الإغراءات المالية والاجتماعية؛ ليقدمها هدية للسلطان عبد الحميد؛ ليستجيب له في تحقيق رغباته.

تكـررت هذه العروض ثلاث مرات بين تيودور هرتزل، السلطان عبد الحميد كان اللقاء الأول في يونيه 1901 واللقاء الثاني في فبراير 1902 واللقاء الثالث في يوليه 1903 وكانت المغريات التي حملها هرتزل، ليعرضها على السلطان عبد الحميد كرشوة أو جعل في مقابل تنازله عن أرض فلسطين ما يلي:

1- عرض عليه أن يسدد ديون تركيا كلها، وكانت ديونه كثيرة.

2- ثـم عرض عليه تطوير الصناعة بتركيا، والتجارة، وذلك مـن خلال إنشاء بعض البنوك التي يملكها اليهود، ويمولها برأس مالهم هم.

3- ثم عرض عليه بعد ذلك إقامة جسور للسكك الحديدية عبر القارات المتصلة بها.

4- وبعد ذلك عرض عليه أن يقوم بحملة إعلامية عالمية تدافع عن السلطان عبد الحميد، وعن سياسته في المنطقة العربية في مواجهة الدول الأوربية؛ لعلمه أن الدول الأوربية كانت قـد تمالأت كلها على السلطان عبد الحميد. بل إن في هذا الـتاريخ كانـت بعـض الدول الإسلامية قد وقعت فريسة للاستعمار البريطاني، والفرنسي، والإيطالي في بداية القرن العشرين.

5- ثـم عـرض علـيه بعد ذلك أن ينشئ في المملكة، أو في الخلافـة جامعة عصرية لتعليم الشباب العلوم الحديثة بدلا من أوربا.

6- ثـم عرض عليه هدية مالية قدرها مائة مليون جنيه ذهب، فـضلا عـن وعود أخرى مقابل السماح فقط بإنشاء شركة يهـودية فـي فلسطين تشتري الأراضي الصحراوية غير المزروعة، وتوطن فيها اليهود.

وقد قوبلت -طبعًا- تلك المطالب من السلطان عبد الحميد بالـرفض، والزجر وصرَح السلطان عبد الحميد بأن الهدف هو إيجـاد حكومة لليهود في فلسطين، وليس مجرد قطعة أراضي صحراوية لا زرع فيها ولا ماء، ثم قال عبارته الشهيرة: "ولن يكون ذلك إلا على أجسادنا" هذه هي عبارة السلطان عبد الحميد الـذي ظلمه التاريخ، صرح بهذه العبارة في وجه من؟ في وجه تـيودور هرتـزل: لـن يكون ذلك السماح لليهود بإقامة شركة لـشراء الأراضـي في أرض فلسطين: "لن يكون ذلك إلا على أجسادنا".

ثـم تألف وفد آخر من اليهود من ثلاثة أشخاص، وقابلوا الـسلطان عبد الحميد - بعد ذلك- فأبى مقابلتهم، ووكل أمرهم

إلى أحد موظفي الخلافة وتقريبا هو: تحسين باشا، وقد تبين من المقابلة أنهم يرغبون من الدولة العثمانية أن تسمح بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين، وبإنشاء مستعمرة قرب القدس، وذلك مقابل المغريات التي حملها تيودور في المرة الأولى، وكذلك في المرة الثالثة، وكان لتلك المحاولات أثرها في إصدار قرار بقانون الجواز الأحمر، وكان خاصا بكل يهودي يدخل أرض فلسطين بقصد السياحة، أو الزيارة كما أن الحكومة منعت امتلاك الأراضي لليهود، أو استيطانهم فيها فكان كل يهودي يريد أن يدخل أرض فلسطين للزيارة له جواز خاص بالزيارة فقط، بحيث لا يسمح له بالإقامة فيها.

هذه المقابلات التي تمت بين هرتزل، والسلطان عبد الحميد كانت البداية الطبيعية لتأسيس الجمعية الصهيونية، أو الدولة الصهيونية، أو الدولة العبرية -إن شئتم- بشكل منظم في حراسة الدول الأوربية وحراسة المال اليهودي؛ مستغلين في هذا الظرف التاريخي ضعف الخلافة العثمانية.

هذه هي مراحل تأسيس الحركة الصهيونية تاريخيا، وقد مرت بحلقات متتالية كان أهمها من وجهة نظري على الأقل: مرحلة أو حركة نابليون بونابرت، ثم حركة روتشيلد التي تولت

جمع المال، والمرحلة الثانية وهي الأخطر هي مرحلة تيودور هرتزل.

هذا هو الجانب التاريخي الذي يهمنا في هذه القضية وفي مسارها التاريخي.

الفصل الثالث

ماهية الصهيونية وأبعادها الدينية

نأتي الآن إلى دراسة الحركة الصهيونية من حيث هي ما طبيعة هذه الحركة هل هي حركة دينية خالصة -كما يدعي البعض ويحاول أن يتصيد لها النصوص الدينية من التلمود ومن التوراة وهي نصوص زائفة كما قلت؟.

هل هي حركة قومية تنادي بأفضلية الجنس اليهودي، وأن ما عداه خلق لخدمة الجنس اليهودي، وقد يؤيدون هذا القول بنصوص -أيضا- من التوراة، ومن التلمود توضح أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن غير اليهود هم من سلالة حصان نجس، وأنهم أمميون خلقوا لخدمة اليهود، وأنهم لا يستحقون أن ينتسبوا، ولا يصاهروا، ولا يتزوجوا، ولا يزوجوا أحدا من اليهود؛ فتكون الحركة عنصرية قومية؟.

هل هي حركة سياسية لها أهداف سياسية تبغي من ورائها تأسيس حكومة عالمية تحكم العالم كله، وتستأثر

بخيراته، وتستولي على مصادر ثروته تحت سمع وبصر مجموعة من النصوص التي تتولى تنفيذها شركات عالمية تخصصت في صناعة الأسلحة، واستخراج معادن وخيرات الأرض من باطنها، وجمع الثروات العالمية في أيديهم، ثم تحاول السيطرة على العالم من خلال حكومة واحدة تحكم العالم..؟ ما طبيعة هذه الحركة -أيها الأخوة؟.

- لا شك أن هذه المحاور الثلاثة كونها حركة دينية، كونها حركة قومية عنصرية، كونها حركة سياسية، هذه الأبعاد الثلاثة -كما قلنا- لها من يؤيدها، ويدافع عنها، خاصة إذا وجدنا أن من الصهاينة أنفسهم مفكرين يتبنون هذه القضية، أو تلك ويحاولون أن يوظفوا لخدمتها بعض نصوص من الأسفار التوراتية، وبعض نصوص من التلمود، ويحاولون أن يقهروا التاريخ لتفسير وتأييد وجهة نظرهم من أنها حركة دينية أو قومية أو سياسية.

- وإذا أردنا أن نوضح القول حول هذه المحاور الثلاثة عن طبيعة هذه الحركة الصهيونية؛ نجد أن الكلام فيها قد يتداخل بحيث نجد أن آراء المفكرين الذين يفضلون القول بأنها قومية ينصون -أيضا- على أنها لا تخلو من أهداف سياسية، كذلك

الذين ينصون على أن الحركة الصهيونية حركة سياسية؛ يقولون إنها لا تخلو من أهداف قومية دينية؛ فهناك تداخل، لكن المعلم الأساسي للحركة بعد هرتزل تأخذ بعدا سياسيا قوميا عنصريا.

* حركة قومية عنصرية :

ومن هنا نستطيع أن نوضح، أو نلقي الضوء على كل رأي من هذه الآراء بشيء من الإيجاز؛ لأن الأيديولوجية الصهيونية التي تميل إلى القول بأن الحركة هي في أصلها حركة قومية يعتمدون على نصوص وضعوها بأيديهم في سفر التكوين مثلا يقولون -معتمدين على هذا النص- في أن الأرض حق لإسرائيل، وأن الجنس جنس إسرائيل، وأن الذي يسكن الأرض الفلسطينية هم من بني إسرائيل وليس من غير بني إسرائيل، جاء في (سفر التكوين) ما يلي: في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام سيدنا إبراهيم -عليه السلام- ميثاقا قائلا له: لنسلك أعطي هذه الأرض من نير مصر إلى النهر الكبير - نهر الفرات.

فمن هذا المنطلق الديني أعلن الزعماء الصهاينة أن فلسطين قد أعطيت لنا من الرب، وذلك دون أن يسألوا أنفسهم عن مضمون هذا العهد، وعما إذا كان الاختيار الإلهي لهم غير

مشروط، أو له شروط، وبصرف النظر أن العرب من نسل إبراهيم، أم ليسوا من نسل إبراهيم، ثم يؤيدون هذا بنصوص أخرى مكذوبة فإن بعضهم يستدل بقوله، أو بماء جاء في نصوص التوراة أيضا: "إن هذه الأرض أعطيت لنا وعدا من الرب، ولنا عليها حق" فبدأت الحركة الصهيونية تقرأ الكتاب المقدس -كما يقول بعض المؤرخين- قراءة انتقائية يضعون أيديهم على نص ويبترونه من السياق العام، ويستدلون به على ما يريدون منه . مثل أفضليتهم كجنس، ومن أحقيتهم بالأرض دون غيرهم، ولذلك نجد مثلا على سبيل المثال أن الرجوع إلى الكتاب المقدس عند حزب العمل، أو عند حزب الليكود إنما يراد منه تدعيم سياسة مؤداها أن فلسطين خاصة بالصهيونيين وحدهم بموجب منحة موقع عليها من الرب؛ فأي جنس غير صهيوني غير يهودي يدخل هذه الأرض يكون معارضا لإرادة الرب.

لقد قال الرب لموسى في نص سفر العدد: كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة، وتخربون جميع مرتفعاتهم، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم، ومناخس في جوانبكم،

ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها؛ فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم.

لاحظ النص: طرد، تخريب، قتل أي دم غير يهودي بنص التوراة عندهم التي حرفوها، يقولون إن القتل والتخريب وهدم البيوت سياسة توراتية كلفهم بها الرب. كل هذه النصوص -أيها الأخوة- موجودة في سفر العدد.

أما سفر التثنية فلا تقتصر النصوص على أن تطلب من الصهاينة اغتصاب الأرض فقط، ولا طرد أصحابها فقط، بل إنها تطلب منهم المذبحة، يقول النص: متى أتى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها، وعليك أن تطرد شعوبا كبيرة من أمامك، ودفعهم الرب إلهك أمامك، وضربتهم؛ فإنك تحرمهم الإقامة في الأرض، لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم، ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحوا اسمهم من تحت السماء" هل هذا نص إلهي -أيها الإخوة- .

وفي سفر يشوع وهو سفر المذابح لا يؤخذ على أنه نص كلاسيكي عندما يدرس في المدارس الإسرائيلية، ولكن هو كذلك وسيلة إلى الإعداد النفسي للمجندين في الجيش، هذا السفر الذي يسمى عندهم سفر المذابح، يدربون الجنود في الجيش على

قراءة وحفظ وتنفيذ ما جاء في هذا السفر، والوعاظ العسكريين الربانيين منذ غزو لبنان يدعون إلى الحرب المقدسة، وقد حدد لهم الموضوع الأساسي أحد الكهنة الربانيين برتبة كابتن بقوله: إننا لا ينبغي أن ننسى المنابع الكتابية التي تبرر هذه الحروب، والتي تبرر وجودنا هنا، إننا نؤدي وجودنا الديني اليهودي بوجودنا هنا، لقد كتب علينا أداء هذا الواجب الديني التعبوي وهو: أن نغزو الأرض ونحارب العدو.

ونجد أن التلاعب بالنصوص ابتداء من مجال علم الآثار حتى الكتب المدرسية هي القضية التي يتنافس فيها الأحبار، والمفكرون الصهاينة، التلاعب بالنصوص العقائدية؛ إما من (التلمود) أحيانا، أو من أسفار التوراة أحيانا أخرى.

هنا نستطيع أن نقول: إن الذين يفسرون الحركة على أنها حركة قومية؛ يجدون لذلك مبررا في نصوص التوراة التي تنادي بأفضلية الجنس، وأحقية الأرض، وتنادي في نفس الوقت بعدم جواز إقامة أي فرد غير يهودي على أرض فلسطين؛ فيجعلون هذه الحركة حركة قومية تنادي بأفضلية الجنس اليهودي، وأحقية الجنس الصهيوني، أو اليهودي بالإقامة في هذه الأرض بمقتضى وعد الرب، وهي أسطورة -كما قلنا- أو أحد الأساطير التي أسس عليها اليهود قضيتهم أمام العالم.

* حركة دينية :

بينما يرى البعض الآخر أن هذه الحركة هي حركة دينية نابعة من الفكر الديني اليهودي الخالص بمقتضى النصوص التي نجدها أحيانا تحت أيدي دعاة القائلين بأنها حركة قومية، والنصوص التي نجدها تحت أيدي القائلين بأنها حركة سياسية هؤلاء معهم نصوص وأولئك معهم نصوص، فوجدنا فريقا من المحللين يرى أن هذه الحركة، حركة دينية نابعة من الفكر الديني اليهودي التوراتي الزائف، وما يتضمنه هذا الفكر من نظريات وعقائد، يأتي في مقدمة هذه العقيدة فكرتهم عن المسيح المخلص الذي سيأتي في آخر الزمان، أو في الألفية الثالثة؛ لينقذ اليهود من الاضطهاد الذي وقع عليهم، ويحررهم من الشتات.

ثم تأتي بعض الأفكار الأخرى التي ترتقي عندهم إلى مستوى العقائد كاعتقادهم بأنهم شعب الله المختار، والنصوص في التوراة موجودة، والاعتقاد بالأرض والعودة إلى الأرض، والنصوص موجودة، ويشكل هذا كله مزيجا يفعل فعله في وجود ونشاط هذه الحركة الصهيونية عند أصحاب هذا الرأي القائلين بأنها حركة دينية، أصحاب القائلون بأنها حركة قومية معهم نصوص، والقائلون بأنها حركة دينية معهم أيضا نصوص.

* حركة سياسية :

لكن التحليل الثالث لهذه الحركة يرى أنها حركة سياسية، وإن كانت لا تخلو من أهداف ونوازع، أو مستندات ووثائق دينية لكن أهدافها أهداف سياسية بالدرجة الأولى، سعى أصحابها إلى تنفيذ فكرهم السياسي، ولا مانع أن يستغلوا المواقف العلمانية؛ ليستفيدوا بالفكر العلماني في تنفيذ مخططاتهم؛ فيعملوا على استغلال الظروف السياسية، ويحاولوا إقناع اليهود أنهم أمة لها حق تقرير المصير، ولكنهم استندوا في التنفيذ إلى أفكار دينية مستقاة من التراث الديني اليهودي، لما في الفكر الديني من تأثير في إثارة المشاعر، وحشد القوى، وإثارة الطاقات الكامنة في النفوس لتنفيذ وعد الرب بالأرض، وبأفضلية الشعب.

ويستخلص رأي هؤلاء القائلين بأنها حركة سياسية في أن الحركة الصهيونية هي في جوهرها حركة علمانية لا تستند إلى أي فكر ديني إلا عند الحاجة، لكنها في وسائلها، وتخطيطها، ومؤتمراتها، ووسائلها العملية علمانية خالصة، أضفت على هذا النشاط العلماني طابع ديني لما له من تأثير في النفوس كما قلنا من قبل.

ويستدل أصحاب هذا الرأي على أن الحركة الصهيونية حركة سياسية بأن تاريخ الزعماء كله تاريخ علماني، ولعل من أوضح الأدلة على صحة هذا الرأي أقوال زعماء الحركة الصهيونية أنفسهم التي تدل على هذا الطابع العلماني دلالة واضحة، حتى إن هرتزل أكبر مؤسسي هذه الحركة قد قال: إنني لا أنقاد لأي دافع ديني. ونقرأ في كتابه "الدولة اليهودية" الذي ينظر إليه على أنه أحد الكتب المقدسة لهذه الحركة لما تحدث عن شكل الحكومة التي ستحكم الدولة عند قيامها تساءل قائلا: هل سننتهي إلى حكومة دينية، ثم أجاب قائلاً: لا بالتأكيد، إن العقيدة تجمعنا، والمعرفة تمنحنا الحرية، ولذلك سنمنع أي اتجاهات دينية تتصدر قيادتنا من جانب الكهنوت بالذات سوف نحصر كهنتنا داخل المعابد، كما سينحصر الجيش داخل الثكنات، وسينال كل منهما ما يليق به من احترام رفيع، ولكن لن يسمح لهما بالتدخل في شئون الدولة؛ لأن ذلك سيجلب علينا صعوبات في الداخل والخارج.

هذا النص صرح به تيودور هرتزل كدستور للحركة الصهيونية، ونشاطها -فيما بعد- وهذا ما جعل كثيرا من المفكرين يرون أن الحركة الصهيونية هي حركة سياسية في أهدافها ومقاصدها، وإن تسترت أحيانا ببعض النصوص الدينية،

وعندما زار هرتزل القدس قبيل وفاته انتهك العديد من الشعائر الدينية اليهودية؛ ليؤكد أن قضيته منفصلة عن القضية الدينية تماما، وكان صديقه في هذه الزيارة "ماكسنوردو" في سنة 1923 وهو أحد الزعماء الصهيونيين، وكان ملحدا يجاهر بالإلحاد، وقد وصل إلى حد القول: "أنه سيأتي القول بأنه سيأتي اليوم الذي يحتل فيه كتاب هرتزل مكانة تساوي مكانة الكتاب المقدس ذاته، حتى بالنسبة للمتدينين بالديانة اليهودية".

ولا نعجب إذا وجدنا حاييم وايزمان أول رئيس لدولة إسرائيل يتلذذ في بعض الأحيان بمضايقة الحاخامات -رجال الدين- بشأن الطعام المباح شرعا، وغير المباح على سبيل السخرية منهم. هذا كله يدل على أن الحركة -كما أرادها هرتزل- هي حركة سياسية، ثم إن موقف رجال الدين اليهودي والمتدينين منهم -من هذه الدولة التي سعت الحركة الصهيونية إلى إقامتها- قابلوها بالرفض المطلق منذ أن كانت مشروعا في عقولهم، واستمروا على رفضها حتى بعد إقامتها.

وقد انعقد مؤتمر في مدينة مونتريال بكندا للحاخامات الأمريكيين بالذات في سنة 1897 وهو نفس العام الذي انعقد فيه المؤتمر الأول للحركة الصهيونية برئاسة هرتزل، وقد أصدر

هؤلاء الحاخامات قرارا برفض مشروع هرتزل، كما رفضوا أي مشروع لإقامة الدولة اليهودية، وعبر بعضهم عن مخاوفهم من الأيديولوجية العلمانية التي تسعى الصهيونية لنشرها، بل إن بعضهم عبر عن تخوفه قائلا: إن إقامة دولة يعد اقتلاعا لليهودية من جذورها. بل إنه نظر إلى الصهيونية وإلى دولة إسرائيل بوصفهما من تعاليم الكفار التي نشرها المرتدون -أقطاب الفكر الصهيوني- لماذا؟ لأنه من وجهة نظر الحاخامات علمانيون، وليسوا رجال دين.

وزيادة على ذلك فإن الحركة الصهيونية لا يمكن تصنيفها ضمن الحركات الدينية اليهودية؛ لأنها لا تملك رؤية دينية من جانب، كما أنها لا تمتلك برنامجا دينيا تبتغي نشره بين اليهود، ومن ثم نجد المؤرخين للحركات الدينية لا يذكرون هذه الحركة ضمن الحركات اليهودية الخالصة، بل إننا نلاحظ أن الحركة الصهيونية تؤكد على القيم المادية، وتميل إلى ترجمة القيم الدينية إلى مفاهيم مادية؛ فكل شيء روحي يترجم في إسرائيل إلى قيمة مادية مما يدل على أن الحركة حركة علمانية، وليست حركة دينية، وإذا علمنا أن رواد هذه الحركة قد نشأوا في ربوع أوربا؛ نستطيع أن نقول إن الصهيونية قد ورثت هذا الطابع العلماني من البيئة الأوربية نفسها؛ لأن أقطاب الفكر الصهيوني تربوا في

أوربا، وهذا لا يعني أن الحركة -وإن كانت علمانية- قد قطعت علاقتها التامة مع الموروث الديني، لا، هذا غير واقع وغير متوقع أيضا؛ لأن الفصل بين الحركة السياسية القومية وبين الدين يعد نوعا من الغباء السياسي الذي يحرص زعماء الحركة الصهيونية على عدم الوقوع فيه؛ لأنهم بذلك سوف يستثيرون رجال الدين والمخلصين من اليهود في كل وقت ضدهم.

لذلك فهم أحيانا يتسترون بالستار الديني وأحيانا يعلنون شعارهم العلماني.

كان دعاة الحركة الصهيونية أيضا على علم بما للدين من قوة في تحريك الجماهير وجذبها إلى ساحة الكفاح وإخراجها من عزلتها إلى حيز العمل، ولذلك نجد أن قادة هذه الحركة إذا وجدوا في الاستعانة بالدين فائدة ونفع؛ لجأوا إليه، وإذا لم يكن فيه نفع، ولا فائدة بالنسبة للواقع التاريخي نفضوا أيديهم منه، ولا تعجب أن جنود الحرب في حرب 1967، وحرب 1948، وحرب 1973 كان بين كل كتيبة يهودية بعض أحبار اليهود الذين يقرئونهم التوراة، ويعلمونهم ما فيها من أوامر ربانية تأمرهم بقتل كل ما هو غير يهودي، أو تذبحه، أو تنفيه من الأرض .

وإذا علمنا أن قادة الحركة أيضا يتكون لديهم إحساس بأن الدين وحده هو القادر على أن ينتزع اليهود من البلاد التي يعيشون فيها؛ ليتركوها ويهاجروا إلى أرض فلسطين؛ لجأوا إلى النصوص الدينية التي تدعو كل يهودي أن يترك مكانه ووطنه الذي يعيش فيه ويهاجر إلى أرض الميعاد.

فتلاحظ معي: مع أنها حركة علمانية سياسية كما يرى هؤلاء إلا أنها تلجأ إلى الدين لتستفيد بما فيه من نصوص؛ إما لإثارة قضية العودة والإحساس بالحاجة إلى أرض الميعاد، أو لإثارة الجنود الصهيونيين واليهود ضد من هو غير يهودي، أو لإثارة قضية شعب الله المختار عندهم.

وأيضا كان للدين أثر كبير في ربط هذه الحركة في الكتب المقدسة ليعطيهم بعدا تاريخيا؛ لأن الدين هو الذي يعطي المواطن الذي يعيش فوق هذه الأرض قيمته المقدسة المستمدة من النصوص التي امتلأت بها التوراة، والتي تكررت في أسفار العهد القديم بالنبوءات الكثيرة التي كتبها اليهود في فترات هزيمتهم وغربتهم وشتاتهم، والتي قد اكتسبت -بمرور الزمن- قوة العقيدة، وأصبحت تحيا في وجدان اليهودي، وتحركه لتحقيق كل ما هو أمر للعودة إلى الأرض، ولمحاربة غير اليهودي، والاعتزاز بنفسه كواحد من أفراد شعب الله المختار.

فقضية استغلال الدين كانت قاسما مشتركا بين من يفسر الحركة بأنها حركة سياسية، ومن يفسر الحركة بأنها حركة قومية، وقد سعى قادة الحركة الصهيونية إلى استثمار هذه الفكرة أكثر من غيرهم في أي وقت مضى خاصة في العصر الحديث؛ حتى إننا نجد واحدا منهم يصرح بهذه العبارة: لو ألغينا مفاهيم الشعب المختار الموجودة في نصوص الكتاب المقدس، ولو ألغينا قضية الوعد بالأرض الموجودة، لو ألغينا هذه وتلك لانهارت الصهيونية من أساسها.

وعندما سأل "بلفور" صاحب الوعد المشهور، عندما سأل "وايزمان" ومعروف من هو وايزمان إنه أحد أكبر زعماء الحركة الصهيونية بعد هرتزل، والرئيس الأول لإسرائيل بعد قيامها سأله بلفور قائلا: لماذا لم تقبلوا إقامة الوطن القومي في أوغندا مثلا؟، وكانت هذه فكرة مطروحة في مؤتمر "بال" أن تقام الدولة في أوغندا أو في مكان آخر غير فلسطين، فأجابه وايزمان: إن الأمر الوحيد الذي يجمع كل شتات اليهود، ويجمع عليه اليهود كأساس للحركة الصهيونية هو فلسطين، وفلسطين وحدها، وقلت: حتى لو أن موسى نفسه جاء يدعو لغيرها لما اتبعه أحد، وأن أي ابتعاد عن فلسطين يشكل نوعا من الكفر.

ونجد موشي ديان نفسه -وكان وزيرا للحربية الإسرائيلية- كان يخاطب الجنود قائلا: إذا كنا نحن أصحاب التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة؛ فينبغي لنا أن نمتلك -كذلك- أرض التوراة. لاحظوا معي الربط بين الفكر الديني - والمتمثل في نصوص التوراة- والفكر السياسي المتمثل في امتلاك الأرض.

ولم يكن مهما بالنسبة لابن جوريون مثلا -وهو أحد قادة إسرائيل المعاصرين- أن يكون الله قد أعطى لليهود، أو لأنبيائهم عهدا بإعطاء أرض فلسطين، لكن المهم -في نظره- أن تظل هذه الأسطورة مغروسة في الوجدان اليهودي، ولذلك يجب أن تبقى سارية المفعول، حتى بعد أن يثبت أن الوعد المقطوع به، - وهو الوعد بالأرض، والوعد بأنهم شعب الله المختار - أنه مجرد أسطورة من الأساطير الشعبية التي ليس لها مصدر إلهي.

إلى هذا الحد يتشبث قادة إسرائيل المعاصرون، كما تشبث أجدادهم في الماضي بالنصوص الدينية؛ لكي يؤكدوا قضيتهم، ويجعلوا من باطلهم حقا في نظر العالم.

وعـن طـريق هذه النصوص استطاعوا أن يقنعوا أوربا بأنهم أصحاب الأرض.

وأن يقنعوا مفكري العالم بأنهم شعب الله المختار.

وأن يقـنعوا العـالم كلـه بأسطورة الأرض، وأسطورة المـيعاد، وأسـطورة عودة المسيح إلى أرض فلسطين؛ ليحكم العالم في الألفية الثالثة التي تأسس بها، والتي تأسس عليها فكرة الصهيونية الصليبية المعاصرة التي تأسست في أمريكا لمناصرة الصهيونية في أرض فلسطين.

هـذه بعـض الآراء التـي قـيلت حول تحليل الحركة الصهيونية، هل هي حركة دينية خالصة؟ هل هي حركة سياسية خالصة؟ هل هي حركة قومية خالصة؟.

وقـد وجـدنا أن هذه الآراء الثلاثة مطروحة في تحليل الحركة الصهيونية، وأصبح النص الديني قاسما مشتركا بين هذه التفسيرات كلها.

وبذلك لا نميل إلى القول: بأن رأيًا معينا هو الصواب وما عـداه خطأ، وإنما نرى أن كل هذه الآراء كل منها لـه وجهة نظر وله ما يبرره في النصوص التي يستدلون بها على أن هذه الحـركة قومية أحيانا، دينية أحيانا، سياسية أحيانا أخرى، لكننا

بالتأكـيد نميل إلى القول بأن هذه الحركة خاصة بعدما تأسست بشكل رسمي مؤسسي على يد "هرتزل" بدأت تأخذ شكلا سياسيًا قومـيًا، وربمـا تحتاج إلى تأييد بعض مواقفها باستغلال بعض نـصوصها مـن التوراة أو التلمود كما سوف نرى، ولذلك فإن مظهر هذه الحركة على امتداد القرن العشرين وبالتحديد من يوم أن ظهـر علـى المسرح السياسي "تيودور هرتزل" بدأت هذه الحـركية تأخـذ بعدا سياسيًا قوميًا على امتداد القرن العشرين بأكملـه، كمـا يـرى المؤرخون أن المؤسس الأول للصهيونية الـسياسية بهـذا المعنى الذي نريده هو "هرتزل" سواء نحا هذا المنحـى في كتابه الذي أسماه (الدولة اليهودية) الذي ظهر عام 1895 أو ما قرره في المؤتمر الأول الذي عقد في سويسرا في مديـنة "بـال" في عام 1897، في هذين العملين؛ كتاب الدولة الـيهودية والمؤتمر الأول الذي عقده في سويسرا نجد أن هذين العملـين يمكن أن نستنتج منهما معًا الفكر السياسي الصهيوني لهذه الحركة الذي يهدف "هرتزل" من ورائه إلى :

- السيطرة الكاملة على الأرض مستغلا أسطورة الوعد، وأسطورة الشعب.

ـــــــ وأيضا السيطرة على العالم من خلال خلق ما يسمى بالحكومة الواحدة التي تحكم العالم، ولا غرابة في ذلك، لأننا نجد "هرتزل" نفسه يعترف بمحض إرادته بأن فكرة الصهيونية عن عودة اليهود إلى أرض فلسطين ليست جديدة على الفكر اليهودي، وهو يذكر في صحيفته أن أحد أصدقائه وهو اسمه "شيف" قال له في 17 يونيو 1895: "إنها شيء حاول أحد الناس تحقيقه" لكن هذا الرجل كان مسيحيا زائفا، ودون أن نذهب بعيدا فإن نفس الموضوع قد عولج على يد كثير من الكتاب الذين سبقوا "هرتزل" ونادوا بضرورة عودة الشعب إلى الأرض الموعودة من خلال لقاءات كثيرة تمت قبل "هرتزل" لكن الجديد على يد "هرتزل" أنه صاغ القضية في شكل عبارات أشبه بالقضايا المنطقية أو القضايا الرياضية، فعندما صاغ "هرتزل" هذا الشعار "نحن شعب وفلسطين وطننا التاريخي الذي لا ينسى" فإنه لم يفعل في هذا الشعار إلا أنه تناول ما أطلق عليه هو نفسه "الأسطورة العظيمة التي نطلقها صرخة مدوية لتجميع قوى العالم حول الحفاظ على حقوقنا التاريخية التي ندعيها".

هذه القضية بهذا الشكل نقلها "هرتزل" من بعد ديني إلى بعد سياسي، ونحن نعرف أن "هرتزل" حينما التقى بالسلطان عبد الحميد أو حاول أن يلتقي مع السلطان عبد الحميد، حاول

أن يأخذ منه وعدا بتأسيس وطن لإسرائيل في أرض فلسطين، وتكلمنا عن هذا اللقاء بالتفصيل، وقلنا: إن السلطان عبد الحميد رفض مقابلة الرجل، وحاول أن ينيب عنه رجلا من موظفي حكومته يسمى تحسين، وتم اللقاء بين تحسين و"هرتزل" وعرض عليه مغريات كثيرة تكلمنا عنها فيما سبق كان من أهمها تسديد الديون، وإعطاء أموال ذهبية، وإنشاء جامعة، وإنشاء سكة حديد... إلى آخره، لكن لما رفض السلطان عبد الحميد هذه العروض، أضمر "هرتزل" في نفسه ضرورة القضاء على الخلافة العثمانية ليتسنى له إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين.

مقارنة بين إسرائيل وجنوب إفريقيا :

وبعض المحللين يرى أن هذه الفكرة التي هيمنت على "تيودور هرتزل" تشبه تماما نفس الفكرة التي طبقها بعض دعاة التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا، ولذلك يلمح أو يشير بعض الكتاب إلى أن "هرتزل" أراد أن يطبق في الشرق وفي أرض فلسطين بالذات السيناريو الذي حققه "سيسل روديس" في أفريقيا الجنوبية، وربما أشار إلى أن "هرتزل" قد صرح في بعض لقاءاته أنه متأثر بهذا الرجل، وأن مهمة "تيودور هرتزل" هي تطبيق نفس المنهج الذي طبقه "سيسل روديس" في جنوب

أفريقيا، ولذلك طلب "هرتزل" من "سيسل روديس" في 11 يناير 1902 مساندته في تحقيق حلمه في إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين كما فعل هو في جنوب أفريقيا، ولذلك أرسل له يقول: "أرجوك أرسل إلي نصا يقول: إنك فحصت برنامجي، وإنك توافق عليه، وأنه يتوافق إلى حد كبير مع برنامجك الذي احتللت به جنوب أفريقيا".

برنامج هرتزل :

وعلى ذلك استطاع "هرتزل" بناء على هذا التفكير أن ينظم المؤتمر الصهيوني الأول في بال 1897، وكان يحلم بأن يعقده في "ميونخ" غير أن كثيرا من المفكرين المعاصرين له عارضوا هذا الأمر ورأوا أن يعقد في بال بسويسرا، وترتب على هذا المؤتمر أن صاغ "هرتزل" برنامجا كبيرا جدا يمكن أن يسمى ببرنامج بال، أو يسمى ورقة عمل لـ"هرتزل"، أو ورقة العمل للمنظمة الصهيونية العالمية خلال القرن العشرين، هو فعلا يمكن أن يسمى هذا ورقة عمل، ففي أغسطس 1897 افتتح "هرتزل" مؤتمر بال ووضع برنامجه للتنظيم الصهيوني العالمي على النحو الآتي:

افتتحه بقوله: "إن الصهيونية تستهدف أن تنشئ للشعب اليهودي وطنا في فلسطين مضمونا بوساطة القانون العام" القانون العام هنا ربما يشير به إلى ما ظهر فيما بعد بالأمم المتحدة ومجلس الأمن، أو قانون الدولة العظمى التي كانت مسيطرة في هذا الوقت وهي بريطانيا العظمى التي كانت لا تغيب عنها الشمس كما يقولون، ولذلك نجد أن هذا القانون العام تمثل تماما في احتضان بريطانيا للحركة الصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى وأثناء الحرب العالمية الأولى إلى أن تمخض عنها وعد بلفور 1917، وكتب "هرتزل": إن تحقيق هذا الهدف يتطلب الآتي، ووضع مجموعة من الخطوات التي يراها ضرورية لإنشاء هذا الوطن القومي في فلسطين:

أولا: نادى بتطوير استعمار فلسطين على أحسن وجه، وأرشد إلى ضرورة تهجير المزارعين والمهنيين والتجار اليهود وأصحاب رءوس الأموال لتكتمل دائرة الحركة اليومية في استصلاح الأرض وزراعتها والتجارة بالمنتجات الزراعية.

ثانيا: ثم نادى بتنظيم يهودي في كل دولة أوربية، وأن هذا التنظيم ينبثق عنه مجلس قومي يهودي في كل بلد أوربي تكون مهمته تقوية الشعور القومي لدى اليهود

المقيمين في هذه البلد أو تلك، وحثهم على ضرورة الهجرة إلى أرض فلسطين أرض الميعاد، أرض الأجداد، الأرض المقدسة.

ثالثا: ثم المناداة بتنظيم اليهود وتوحيدهم على مستوى العالم في شكل مجلس عالمي، هيئة عالمية، وكالة دولية تجمع شتات اليهود في أنحاء العالم حتى إذا ما احتاج إليه الأمر يمكن الوصول إليهم في أي بقعة من العالم.

رابعا: ثم تقوية الشعور القومي عند اليهود وتوعيتهم بأنهم قومية مفضلة، وأنهم شعب مختار ولهم حقوق إلهية على العالم.

خامسا: ثم ضرورة المساعي التحضيرية للحصول على موافقة الحكومات التي هي ضرورية لبلوغ الهدف لبناء الدولة الصهيونية، ومهمة الحصول على موافقة الحكومات تناط بالمجالس اليهودية التي تؤسس في هذه البلاد.

وقد ظل هذا البرنامج دستور الحركة الصهيونية -أيها الأخوة- حتى عقد المؤتمر الثالث والعشرين الصهيوني عام 1951 حيث صيغت الأهداف بطريقة جديدة، وصيغ هذا البرنامج تحت عنوان برنامج أورشليم الذي أعقب برنامج بال.

يمكن أن نستوعب الفترة أو المساحة الزمنية بين المؤتمر الأول -المؤتمر الصهيوني الأول- على يد "هرتزل" والمؤتمر الصهيوني الثاني بعد تأسيس الدولة وميلاد الدولة الذي عقد في أورشليم سنة 1951 ونتأمل ماذا وقع خلال هذه الفترة الزمنية من 1897 إلى 1951. نلاحظ ما يأتي:

أ - تم إسقاط الخلافة العثمانية.

ب- تم وضع معظم أو جميع البلاد العربية باستثناء المملكة العربية السعودية تحت الاحتلال، فاحتلت بريطانيا الأردن، وفلسطين، والعراق، ومصر، والسودان، والإمارات المطلة على الخليج العربي. واحتلت فرنسا المغرب، الجزائر، تونس، وسوريا، ولبنان. واحتلت إيطاليا ليبيا. لو وضعت أمامك الخريطة الجغرافية للوطن العربي لأبصرتها كلها واقعة تحت الاحتلال الأوربي في الفترة ما بين مؤتمر بال الأول ومؤتمر أورشليم الثاني.

وفي خلال هذه الفترة الزمنية أيضا عليك أن تتذكر أنه تم ما يسمى بالاتفاق الودي بين فرنسا وبريطانيا، وتم توقيع ما يسمى بمعاهدة "سايكس بيكو" وتمت الحربين العالميتين التي انتهت الأولى منهما بوعد بلفور، وانتهت الثانية منهما بميلاد الوطن القومي لليهود عام 1948.

هــذه أمور ينبغي أن نضعها أمامنا لنعرف كيف تتحرك الصهيونية، وكيف نظمت نفسها، وكيف بلورت أهدافها، وكيف تعــد البرنامج أثر البرنامج خطوة خطوة لتصل في النهاية إلى تحقيق هذا الهدف الذي تسعى إليه.

برنامج أورشليم :

إذا كانــت هــذه الخطــوات تتعلق ببرنامج بال على يد "هرتزل" فقد صيغ برنامج أورشليم على النحو التالي:

إن أهــداف الــصهيونية هــي العمل على وحدة الشعب الــيهودي على أن تكون إسرائيل مركزه وحياته وموطن تجمع الشعب اليهودي، واعتبارها وطنا تاريخيا.

واعتبار أن الهجرة إليها من جميع البلاد عملاً إلهيًا تنفيذا لــوعد الرب؛ لأن ذلك يعمل على تقوية دولة إسرائيل المؤسسة على المثل العليا النبوية للعدالة والسلام.

ولابــد مــن المحافظــة علــى شخصية الشعب اليهودي، وتطوير التربية اليهودية عن طريق تعليم اللغة العبرانية والآداب الــيهودية، وإحــياء الأساطير الشعبية المبثوثة في ثنايا التوراة، وكذلك بالقيم والثقافة اليهودية حماية لحقوق اليهود في كل مكان.

ولا ننــسى أن "هرتزل" قد قبل في مؤتمر بال بنوع من المــواءمة بــين صيغة وطن قومي في فلسطين ولم تتردد كلمة دولــة يهــودية، لكن نحن وجدنا في المؤتمر الثاني كلمة دولة يهودية التي هي عنوان كتاب "هرتزل" نفسه، كأن الكتاب الذي وضــعه "هرتزل" حمل معه عنوان الدولة مع أنه في قانونه أو في برنامجه قال: وطن قومي لليهود، ونريد من هذا أن نستشعر ضــخامة العمــل الــذي قام به هذا الرجل في غيبة من الوعي العربي، بل في حضور من الخلافات العربية ونسيان ما يسمى بالهــوية العربية والهوية الإسلامية التي تمثل جدار الصد لهذا الهجــوم الصهيوني على العالم العربي، ونجد أن التعبير بكلمة "وطن قومي" أو "دولة" أخذت شكلا أشبه باللعبة الفلكلورية بين كــتاب الحركة الصهيونية، ففي حين أن "هرتزل" طالب بإقامة وطن قومي، وأن وعد بلفور طالب بإنشاء وطن قومي إلا أنه قد بــذلت جهود كثيرة لإقناع هؤلاء بأن المطلوب هو دولة يهودية فــي فلــسطين، ولكن صرح "هرتزل" بقوله: "إننا يجب أن نلجأ إلى التعمية للتعبير عنها في صيغة تتحاشى أن تثير قادة الأتراك فــي الأرض التــي نطمــع فيها، واقترحنا عبارة "وطن قومي" مرادفة لكلمة دولة؛ لأن وطن يعني: قطعة نقيم عليها وطن، أما كلمــة دولــة فتعنــي مــن الاتــساع ما تعنيه حسب تفسيرات المجتهدين والمفسرين والمحللين السياسيين.

ولذلك نجد أن هذه الصيغة الغامضة كانت تعني لدى "هرتزل" واقعــا محــددا أعلنه للناس، ولكنها في نفس الوقت لم تكن هي الغاية

التـــي يسعى إليها "هرتزل" فقد كتب في صحيفة 3 سبتمبر 1897 في صـــحيفته التي كان يتولى رئاستها أنه إذا كان واجبا أن ألخص أعمال المؤتمـــر فـــي كلمة واحدة كنت أمسكت عن نطقها علنا، فهذه الكلمة هـــي: "أننـــي في بال أسست الدولة اليهودية بيد أن هذا شيء لا يقال بـــصوت عال" إلى هذا الحد كان يعلن شيئا ويضمر شيئا آخر، ونفس القـــضية في وعد بلفور فإن نفس الصيغة هي كانت إنشاء وطن قومي لليهود التي قد قيلت في مؤتمر بال، لكن الإعلان النهائي لبلفور فإنه لم يـــتكلم عن كل فلسطين بل عن إقامة وطن قومي فقط للشعب اليهودي والواقـــع أن العالم كله استعمل كلمة وطن في هذه المرحلة، لكن ترجم فـــيما بعـــد علـــى أن كلمة دولة هي المقصود وأن هذا ما كان يعنيه "هرتـــزل" وكـــتب كثيرون حول تحليل هذه الظاهرة، وأن كلمة وطن اســـتبدلت بكلمة دولة في تاريخ ميلاد إسرائيل 1948، وأصبحت هذه الدولة معترفا بها عالميا الآن مع أن المقصود في الطلبات التي قدمت للخلافـــة العثمانية هي وطن قومي، ووعد بلفور كان المطلوب وطنا قوميا، ولم يكن المصرح به أو المعلن كلمة دولة لليهود.

* * *

الفصل الرابع

النشاط الصهيوني في أوربا وأمريكا

مـــن المهـــم أن نلقي الضوء أيضا على النشاط السياسي للحـــركة الـــصهيونية في أوربا وفي أمريكا بعد مرحلة مؤتمر بـــال؛ لأن هـــذه الفترة الزمنية من وجهة نظر المؤرخين لدولة إسرائيل وللحركة الصهيونية العالمية تعتبر أخصب الفترات في تاريخ الحركة الصهيونية العالمية، بل ربما يرى البعض أن هذه الحـــركة قد وصلت إلى نهايتها وبدأت فيما يسمى بالانحدار أو الانهيار التاريخي.

نجـــد أن تفـــرق اليهود في بلدان أوربا، وأن ما أشار به "تـــيودور هرتـــزل" فـــي مؤتمره من ضرورة تأسيس مجالس يهـــودية فـــي بلاد أوربا تكون مهمة هذه المجالس العمل على الحصول على موافقة الحكومات المعنية على ما نريده منها من مـــساعدات وفـــي نفـــس الـــوقت تنمية الشعور اليهودي لدى المواطنـــين الـــيهود فـــي هذه البلاد، ثم محاولة الزحف الهادئ المـــنظم إلـــى الاستيلاء على مناصب قيادية سياسية وثقافية في هـــذه الـــبلاد، وهـــذا ما تم فعلا في معظم بلاد أوربا وأمريكا

بلا استثناء، ولذلك أرى من الضروري -أيها الأخوة- أن نلقي الضوء على مدى تغلغل النفوذ الصهيوني تنفيذا لبرنامج "هرتزل" الذي تمخض عنه مؤتمر بال 1897، وسوف نمر على بعض البلاد الأوربية بشيء من الإيجاز لنرى كيف تسللت الصهيونية إلى مناطق التأثير في هذه البلاد[1].

1- ففي بريطانيا مثلا تسللت الحركة الصهيونية في أجهزة الحكم حتى كان منهم رئيس الوزراء دزرائيل في عهد الملكة فيكتوريا، كما استطاعوا أن يحصلوا على الأغلبية في عضوية مجلس الشورى للبلاط الملكي البريطاني فضلا عن مجلس العموم، ومجلس اللوردات، والمجالس البلدية، والجمعيات الخيرية، والأحزاب السياسية في بريطانيا، كما استطاعت الصهيونية مع مطلع القرن العشرين أن تسيطر على مقررات البلاد الاقتصادية متمثلة في البنوك، والشركات الصناعية والتجارية، والمناجم، وأسهم شركات البترول على سبيل المثال في إيران والعراق والكويت.

(1) راجع في هذه المعلومات المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ص35 وما بعدها، والفصل الثاني منه. وراجع كتاب عقائد وتيارات فكرية معاصرة (بحث اليهود)، د. بكر زكي.

وفي مجال الصحافة في بريطانيا وجدنا أن جريدة تايمز اللندنية أسست عام 1788 بمال يهودي، ولم تخل منذ تأسيسها حتى الآن من صهاينة يحتلون بها مراكز متقدمة، وقد أخذت تلك الجريدة بعد أن آلت إلى شركة مالية كان أبرز أعضائها من اليهود أخذت على عاتقها مهمة الترويج للفكر الصهيوني على مستوى العالم كله. كما أنشأ اليهود جرائد الديلي تلجراف في عام 1855 واشتراها اليهوديان، ليفي وليفي لاوش. هذا في بريطانيا.. فقد استولوا على الصحافة، استولوا على البنوك، استولوا على شركات الأموال، تسللوا إلى مناطق التأثير السياسي من خلال المناصب القيادية كمنصب رئيس الوزراء، وعضوية مجالس الشيوخ، ومجالس العموم، ومجالس اللوردات بحيث كانوا أغلبية حتى إذا حدث تصويت على أي شيء يستطيعوا أن يكونوا بأصواتهم أغلبية أو يؤثروا ليحصلوا على الأغلبية.

2- في فرنسا مثلا وجدنا أن اليهود قد لعبوا دورا بارزا في قيام الثورة الفرنسية سواء تحت ستار الماسونية العالمية، والشعارات التي رفعوها حينذاك شعار حرية، إخاء، مساواة، وكان تمويل هذه الثورة بواسطة اليهود من إنجلترا منهم على سبيل المثال: "بنيامين جولد سميد" وأخيه "ابراهام" و"موسى" وصهره السير "موسى مونتفري" ومن

ألمانيا جمعوا لها أموال يهودية من هناك، وبدأ تغلغل الحركة الصهيونية في مناصب الدولة في فرنسا حتى وجدنا في النصف الأول من القرن العشرين عدة مناصب هامة تولاها أفراد ينتمون إلى الحركة الصهيونية السياسية بفكرهم وأعمالهم، ووجدنا رئاسة الجمهورية، ورئاسة الوزراء، ورئاسة الحزب الشيوعي، وكثير من الوزارات يتولاها أفراد ينتمون إلى الفكرة الصهيونية. هذا في مجال السياسة في فرنسا.

في مجال الصحافة أنشأت الحركة الصهيونية عدة صحف ركزت على تضليل الرأي العام فيما يتصل بحركة اليهود في أرض فلسطين، وإظهار أن اليهود مغلوب على أمرهم، وأنهم مستضعفون في الأرض، وأنهم مطرودون، وأن العرب يعاملونهم بقسوة و... و... إلى آخره، وزينت بعض الأشخاص حتى تولوا مناصب حساسة خدموا من خلالها الحركة الصهيونية في فرنسا، واستطاعت هذه الحركة -أيها الإخوة- أن تحول باريس إلى مدينة الترف واللهو والدعارة، وكثرت فيها بيوت الأزياء والخمارات باعتبار أن هذا اللون من السلوك أفضل وسيلة من وجهة نظر الصهيونية؛ ليستذلوا من خلالها الشخصيات السياسية والقادة والمسئولين بصورة غير مباشرة،

وعن طريق الإغراء بالمرأة من خلال هذه الوسائل كسروا بها أعناق كثير من المشتغلين بالفكر السياسي في فرنسا.

3- إذا انتقلنا إلى ألمانيا نجد أن اليهود تمكنوا من الوصول إلى مناصب حساسة وبخاصة في الوزارات، كما لعبوا دورا هاما في هزيمة ألمانيا في الحرب الأولى؛ لأنها لم تستطع أن تعطيهم فلسطين وطنا خالصا في الحرب العالمية، ولأن "هتلر" أراد أن يطهر ألمانيا من سلطة الصهيونية، ولم ينسوا موقف "هتلر" والساسة الألمان من الحركة الصهيونية، وحركة المحارق والأفران التي نصبها لهم "هتلر" وموقف الحركة النازية من اليهود، ونستطيع أن نقول: إن هناك أكثر من وزارة في ألمانيا كان يهيمن عليها أفراد صهاينة، وزارة المالية كان يهيمن عليها "شفرو برنشتين" وزارة الداخلية هيمن عليها "بروورس فرند" وزارة العدل كانت يهودية مائة في المائة، وفي مقاطعات أخرى من ألمانيا كانت الحركة الصهيونية تسيطر عليها بكثير من أبنائها.

4- في روسيا لم تغمض أعين الصهيونية عن المد الروسي في القرن العشرين، ولذلك أخذت تعمل في أحضان القيصرية الروسية على نشر الفكر الصهيوني في ربوع روسيا، وعملوا على قلب نظام الحكم وتوزيد ذلك إلى اليهود حتى

يـتحقق لهـم ما يريدون، وكانت لهم يد طولى في الثورة البلـشفية سـنة 1917، وتولـى زمام الحكم في هذه البلاد الـيهود لفتـرة مـن الزمن، ونستطيع أن نرصد في الأيام الأولـى للانقـلاب العسكري بعدد الوزراء الصهاينة الذين تولوا هذه المناصب في الاتحاد السوفيتي أو روسيا آنذاك، حتى إنه لم يمض عام على الانقلاب البلشفي في سنة 1917 حتـى وجدنا نفوذ اليهود في روسيا على النحو الذي يلفت النظـر، بحيث نجد أن أول حكومة بعد الثورة مباشرة كان عـدد وزرائهـا 22 وزير كان منهم 17 صهيوني، وكانت لجـنة الـشئون الداخلية 64 كان منهم 45 صهيوني. لجنة الـشئون الخارجية كانوا 17 كان منهم 13 صهيوني. لجنة الـشئون الماليـة 30 عضو منهم 26 صهيوني، ولو أخذنا نـستقرئ اللجـان الحزبية في الحزب الشيوعي الروسي، واللجـان الداخلـية لهـذا الحزب نجد أن معظم لجان هذا الحزب كانوا إما يهودا وإما صهاينة لنعلم مدى تغلغل النفوذ الصهيوني في الاتحاد السوفيتي.

وقد كتب بعض المحللين لهذه الظاهرة أن نسبة اليهود في الوظائـف المهمـة في روسيا كانت نحو 80% من الوظائف، وظـل هـذا الـنفوذ اليهودي الصهيوني قائما في روسيا حتى

أسقطها "جوربوتشوف" في نهاية القرن العشرين، وما زال نفوذ الصهيونية قائمًا فيها حتى الآن.

ومـا نلاحظه من تأييد لبعض الحقوق العربية، أو بعض الحقـوق الفلـسطينية، أو محاولـة إظهار العداء لإسرائيل، أو معارضـتها فـي مجلـس الأمن ما هو إلا ضرب من التضليل للـرأي العـام، وللتمكـين للـنفوذ الشيوعي في بلاد العرب، ولاسـتنزاف مـوارد المسلمين من ناحية حتى إذا كُشف النقاب عـن حقيقة الموقف الروسي، فلا ننسى أبدًا أنها الدولة الأولى التي اعترفت بإسرائيل لحظة ميلادها بعد أمريكا مباشرة، بل إن البعض يرى أنها اعترفت بميلاد الدولة الصهيونية قبل أمريكا، هذا في روسيا.

5- رؤسـاء أمريكا يتعهدون بالوطن القومي لليهود ومناصرته. ماذا نجد في الولايات المتحدة الأمريكية؟ وحديثنا عن النشاط الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية الآن سوف نركز فـيه على كيف تسللوا إلى الاستيلاء على المناصب، أما عن نـشاط الحـركة الصهيونية بشكل عام في أمريكا فهذا لـه مـوطن آخر. نستطيع أن نلحظ في عهد الرئاسات المتوالية فـي الـولايات المـتحدة الأمـريكية أي مـدى استطاعت

الصهيونية أن تؤثر على القرار السياسي في أمريكا من خلال استيلائها على المناصب القيادية في هذا البلد.

ففي عهد الرئيس "ويلسن" كان مستشاره للشئون الاقتصادية اليهودي الصهيوني "برناردو باروخ" وكان مستشاره للشئون المالية اليهودي الصهيوني "هنري مورجانتو" وكان مشتشاره للشئون السياسية اليهودي الصهيوني الكلونيل "ماندل" وكان مستشاره في القانون الدولي اليهودي الصهيوني "ولترلمان" ومستشاره القضائي اليهودي الصهيوني "جيمس لويس" وأكثر من هذا كان كبير المستشارين السياسيين المليونير اليهودي الصهيوني "فرانكفورت" هذا في عهد الرئيس "ويلسن".

وفي عهد "روزفلت" كان اليهودي "برنارد باروخ" مستشاره الاقتصادي، و"هنري مورجانتو" مستشاره المالي... إلى آخره، نجد أن الهيئة الاستشارية لـ"روزفلت" تقريبًا كانت هي نفس اللجنة الاستشارية التي كانت في عهد "ويلسن" والذي تغير أو استبدل فيهودي استبدل بيهودي وصهيوني استبدل بصهيوني، ولا ننسى أن الرئيس "روزفلت" نفسه كان يهودي الأصل صهيوني السلوك، ولذلك جمع في عيده أكبر عدد ممكن من اليهود في دوائر الحكومة الأمريكية، ويسر لهم كل سبل

العيش وسبل السيطرة على اقتصاديات البلاد في أمريكا، كما أتخذت نجمة داود وسليمان تحتل مكانتها في الدوائر الأمريكية وخاصة على الطابع البريدي، وعلى أختام البحرية الأمريكية، وعلى طابعة الدولار الجديد، وميدالية رئيس الجمهورية، وغطاء الشرطة، وإشارة الصدر التي كان يضعها العمدة في كثير من المناطق. هذه أيها الأخوة أشياء قد لا تلفت النظر لكن لها دلالتها المهمة جدًا في إحياء الوعي الصهيوني.

"فروزفلت" رئيس أمريكي، ولكن ما علاقة أمريكا بالحركة الصهيونية حتى تتخذ من نجمة داود شعارًا للدوائر الحكومية، وتجعلها شعار على الطابع البريدي، وعلى أختام البحرية الأمريكية، وعلى طابعة الدولار، وعلى ميدالية رئيس الجمهورية، وعلى غطاء الرأس للشرطة، وإشارة الصدر التي يضعها العمدة في كثير من الولايات الأمريكية؟؟ ما علاقة هذا بذاك؟ أليست هذه أمور وإن كانت تبدو في نظر البعض هينة إلّا أنها تدل على ما في قلب "روزفلت" من ولاء وعقيدة صهيونية يحاول أن يشعر بها بنو وطنه ويلفت نظرهم إلى ضرورة التمسك بهذه الشعارات والولاء للحركة الصهيونية.

إذا انتقلنا إلى "ترومان" الذي جاء بعد "روزفلت" نجد أنه كان يهودي الأصل صهيوني السلوك تظاهر بالمسيحية ولكنه

لعب دورًا بالغًا في التمكين لليهود في أمريكا وخاصة في وزارات الدفاع، ووزارة الخارجية، ووزارة الاقتصاد، وفي "CIN"وفي المخابرات الأمريكية كما أنه وضع كثيرًا منهم خبراء له في السفارات الأمريكية في البلاد الخارجية.

ثم جاء "ايزنهاور" هو من سلالة يهودية، كما أنه كان عضوًا في جمعية بنايبرس الصهيونية، وصديقًا لجماعة شهود يهوا الصهيونية، كما نال الدرجة 33 من الماسونية العالمية، وهي أسمى الدرجات في تلك الحركة الماسونية، وقد تمكن اليهود في عهد كل من "روزفلت" و"ترومان" و"ايزنهاور" و"كيندي" و"جونسون" أن يشرفوا على النشاط الذري في الولايات المتحدة الأمريكية، وأن يكونوا أعضاء عاملين في نوادي وجمعيات ومؤسسات النشاط النووي في الولايات المتحدة الأمريكية، ولا شك أن رؤساء أمريكا المعاصرين قد تأثروا بالصهيونية وتضامنوا معها إلى حد كبير، وأجدني مضطرًا أن أضع أمامكم هذه القضية.

في عصرنا الحاضر، نجد أن بعض الرؤساء الذين ما زالت أسماؤهم وأصواتهم تتردد في أجهزة الإعلام العربية والإسلامية والصهيونية يعلنون ولاءهم للحركة الصهيونية مع أنهم يعتنقون الديانة المسيحية والمذهب البروتستانتي.

وجدنا الرئيس الأمريكي السابق "جيمي كارتر" وهو أحد ممثلي الاتجاه الصهيوني الصليبي نجده في كثير من المواقف الأمريكية المعاصرة يعلن ولاءه للحركة الصهيونية ولإسرائيل، وكان يرى كرئيس دولة أن إسرائيل هي محل الرعاية أولاً، وهي قبل كل شيء، وأن عودتها إلى الأرض التوراتية التي أُخرجوا منها منذ مئات السنين هي مهمة أمريكية بالدرجة الأولى. أرأيتم، إن إنشاء دولة إسرائيل هكذا يقول "كارتر": "إن إنشاء دولة إسرائيل هو إنجاز للنبوءة التوراتية". ولذلك كانت سياسة "كارتر" قائمة على أساس أنها - أي: فلسطين- هي الأرض التي وعد الله بها اليهود، وأقر بأن عليه التزمًا كاملاً ومطلقًا نحو إسرائيل كرئيس أمريكي وهو شخص متدين مؤمن بالنبوءة الواردة في التوراة حول ضرورة عودة إسرائيل إلى أرض الميعاد، وكانت فكرته عن السلام تدور حول الأمن الدائم أولاً لدولة إسرائيل ولا يعنيه بعد ذلك شأن الفلسطينيين أو حقوق الفلسطينيين.

وفي زماننا هذا أيضًا ندرك بوضوح مدى التعاطف القائم بين الساسة الأمريكان مع اليهود ضد العرب للضغط الصهيوني الموجود في هذه البلاد، وإن بدا التظاهر بالعداء أو الخلاف السياسي والأيدولوجي فهو لون أيضًا من التضليل، وبناء

المستوطنات الذي يتم أمام أعيننا الآن تُجمع له الأموال الأمريكية وتهجر إليه اليهود من أمريكا ومن روسيا.

ثم بضغط أمريكي في عهد الرئيس "ريجان" نجد أن الاستنزاف واستثمار الأموال اليهودية في أرض فلسطين وفي دولة إسرائيل عملاً مقصودًا وتسعى إليه أمريكا ورجال الأعمال الأمريكان، حتى إن الشركات المالية في أمريكا باتت تهدد أصحاب القرار السياسي في أمريكا بتحقيق وتلبية طلبات إسرائيل فورًا ودون إبطاء. نجد أن "ريجان" صرح في بعض المواقف بأنه يشارك الصهيونية تراثًا توراتيًا، وأن بينه وبين إسرائيل تراثًا مشتركًا في النبوءة المكذوبة التي تتذرع بها إسرائيل بعودة المسيح إلى أورشليم ليحكم العالم.

هذه -أيها الإخوة- فكرة موجزة عن النشاط الصهيوني في دوائر الحكم، دوائر القرار السياسي في بلاد أوربا وفي أمريكا، ونستطيع أن نلحظ منها مدى هذا التغلغل في دوائر القرارات السياسية التي يستطيعون من خلالها الضغط على الحكومات الأوربية والحكومات المتوالية في أمريكا لتلبية مطامع إسرائيل، وتأييد مطالب إسرائيل في المحافل الدولية، والوقوف ضد أي حق عربي فلسطيني في المحافل العربية وفي

مجلس الأمن، وفيما يستجد من تحالفات دولية؛ لأن الحقيقة أن مجلس الأمن وما تمخض عنه من قرارات لم يخدم أبدًا أي قضية لا للعرب ولا للمسلمين تحت هذا الضغط الصهيوني في دوائر الحكم في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وأمريكا.

نستطيع أن نلحظ من خلال هذا التغلغل الصهيوني في دوائر الحكم في دول أوربا وأمريكا، نستطيع أن نلحظ التعاطف العالمي الأوربي بالذات والأمريكي بصفة خاصة مع دولة إسرائيل، حتى إذا ما دخلت إسرائيل في أي أزمة أو في أي حرب مع البلاد العربية ولاحت فيها بوادر النصر للعرب نجد أنه سرعان ما تتدخل هذه القوى لصالح الدولة الصهيونية، حدث ذلك مرارًا ولو استقرأنا تاريخ الحروب بين إسرائيل والعالم العربي ابتداءً من عام 1948 إلى 1973 نجد أنه كلما بادرت أو لاحت بوادر النصر للجيوش العربية بدأت أمريكا بالتهديد أو بريطانيا أو دول أوربا إما باستصدار قرار من الأمم المتحدة، أو من مجلس الأمن، أو التدخل المباشر والتهديد المباشر كما حدث في حرب 1973 حيث كانت دبابات أمريكا تنزل من الطائرة إلى ميدان المعركة مباشرة. هذا التعاطف الذي لا يخفى على أحد أوجد هذه الدولة على هذه البقعة من الأرض بميلاد غير شرعي أشبه بميلاد اللقطاء، لكنه متعاونا

مـــع الاستعمار الأوربي ومستعينًا بالنفوذ الأمريكي استطاع أن يحقق في هذه المنطقة حلمًا طالما راود خيال الحركة الصهيونية منذ ثلاثة قرون أو أكثر من ذلك.

وبنظـــرة ســـريعة -أيهـــا الأخوة- نلقيها على الخريطة الجغـــرافية للمـــنطقة العربية بعد ميلاد هذه الدولة ميلادًا غير شرعي يتبين لنا الآتي:

1- أنـــه قـــد تم فعلاً الفصل الجغرافي بين شرق العالم العربي وغـــربه وشـــماله وجـــنوبه، فبعد أن كان العربي يسير من مصر باعتبارها دولة عربية أفريقية إلى الأردن دولة عربية أســـيوية أو إلى السعودية أو إلى سوريا مرورًا بدولة عربية هـــي فلـــسطين أقيمت الحواجز دون هذا المشوار، وبعد أن كـــان العربـــي المسلم يأتي من سوريا وتركيا إلى السعودية جـــنوبًا أو إلـــى الـــيمن جنوبًا مرورًا بفلسطين أقيمت دونه الحواجـــز، وبـــدأ الفصل الجغرافي بين شرق العالم العربي وغـــربه وشماله وجنوبه، وترتب على هذا محاذير ومخاطر كثيرة نحن نجني ثمرتها الآن، وهذه إحدى مساوئ إقامة هذه الدولة بمعونة أمريكا والاستعمار الغربي.

2- ثم ترتب على قيام هذه الدولة أن الدول الإسلامية أصبحت بـــصفة دائمـــة في حوار ساخن مع الدول الأوربية؛ لأنها

تناصر اليهودية على حقوق العرب والمسلمين في فلسطين خاصة[1].

3- إن يقظـــة المـــسلمين ضـــارة بالصليبين لا شك، فما اتحد المـــسلمون إلّا وقويت دولتهم، فهم إما فاتحون أو محررون لبلادهم، لكن هذه اليقظة دونها خرط القتات؛ لأن إسرائيل والحركة الصهيونية فتحت أعينها تمامًا على تفتيت الحركة الإســـلامية، وإثارة الفتن والصراعات بين كل دولة عربية وأخـــرى، وكـــل دولة إسلامية وأخرى حتى لا تتحقق هذه الوحدة، ولو في أدنى صورة منها، فكان من أهداف تأسيس أو مـــن قـــيام هـــذه الدولة أن تعمل على إضعاف عوامل التوحد بين شرق العالم الإسلامي وغربه وشماله وجنوبه، ثم تحكم اليهود في الدعاية العالمية إلى حد أن أقنعوا العالم بـــأنهم أصحاب حق وأن العرب كانوا مغتصبين لأرضهم وحقوقهم، وبدأت هذه الحركة تتحكم في كثير من القرارات الدولية من خلال النفوذ الأمريكي في مجلس الأمن أو الأمم المـــتحدة. وتـــرتب علـــى هذا انهيار اقتصادي رهيب في مـــوارد العالم العربي، فبعد أن كانت موارد العالم العربي

(1) راجع عقائد وتيارات فكرية معاصرة (بحث اليهود)، د. بكر زكي.

الاقتصادية توظف للتنمية وللنهوض وللقيام بحركة نهضوية عامة وشاملة في جميع أنحاء العالم العربي أصبحت هذه الموارد تستنزف لحروب ما كان أغنانا عنها لولا وجود هذه العلة المرضية في جسد الأمة العربية، وقد اضطرت بعض البلدان إلى كثير من الديون نتيجة تسليح الجيوش من بلاد أوربية.

هناك آثار سيئة جدًا نتجت عن ميلاد هذه الدولة على أرض فلسطين، ولعب التمكن الصهيوني وتمكين دوره في المنطقة في عدم استقرار المنطقة لا سياسيًا ولا اقتصاديًا ولا حتى ثقافيًا، ووجدنا أن معظم هذه البلاد العربية بدأت تلعب فيها أصابع الموساد الإسرائيلي الصهيوني بإثارة الفتن الطائفية في بعض البلاد التي يسكنها نصارى ومسلمون كما حدث في لبنان أكثر من مرة، وكما حدث في مصر أكثر من مرة، وإثارة فتن بين بعض القبائل وبعضها الآخر كما في بعض بلدان الإمارات العربية المطلة على الخليج العربي أو الخليج الفارسي؛ لأن الحركة الصهيونية من وسائلها في السيطرة على العالم العربي بكل وسيلة، إما باستنزاف خيراته وموارده في الحروب، وإما بإثارة القلاقل والفتن بين الحاكم والمحكومين، أو بإثارة الصراعات الداخلية والفتن الطائفية بين أهل الملل والمذاهب كما حدث في كثير من البلدان العربية،

المهم أنه لا يهدأ لها بال مادامت الأمة العربية أو الوطن العربي في حالة هدوء أو استقرار.

نشاط اللوبي الصهيوني في أمريكا ومظاهره:

مازال الحديث مستمرا عن الحركة الصهيونية العالمية، وعن نشاطها العالمي، وسوف أركز في الصفحات التالية على النشاط الاجتماعي الثقافي الفكري لهذه الحركة في الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأننا نلحظ ولعلكم تلحظون معي أن الحركة الصهيونية الآن لم تعد تعني دولة إسرائيل بقدر ما أصبحت تعني السياسة الأمريكية والقرار السياسي الأمريكي.

فلقد تأسس في أمريكا ما يسمى باللوبي الصهيوني منذ فترة، وهذا اللوبي الصهيوني يعمل على جبهات متعددة، ودائمًا ما نجد آثاره واضحة في كثير من نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية.

واتضح أن التنظيم الصهيوني أو أن اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الأمريكية -استطاع أن يستصدر قرارًا بأن جميع المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية تعفى من الضرائب في جمع الأموال التي تجمعها لتمويل دولة إسرائيل، ثم أظهرت شهادات لجنة التحقيق بمجلس الشيوخ الأمريكي المعدة

لهـذا الغـرض أن فـي نـشاطات التنظيم الصهيوني أن الأمر لا يقتصر على وقائع جمع المال، بل إن التنظيم الصهيوني لم يقنع بـأن اعتبر نفسه مؤسسة إنسانية تُعفى من الضرائب، بل إنه أخذ في نشاط سياسي لحساب قوة خارجية يجمع لها الأموال من دافعي الـضرائب في أمريكا، وأن هذه الأموال مجهولة المصدر والمنبع كما أيضًا هي مجهولة بنود الصرف.

ويقـول أحـد المحققين في هذه اللجنة: إن هناك مذكرة رسمت الخطوط العريضة للجنة الميزانية العامة في سنة 1962 و1963 وبدأ يطرح بعض الأسئلة عمّا إذا كان هناك مثال واحد مـن هـذه المذكـرة موجود يبين لنا هذا الفساد المالي أو ليس موجود، فأجابه الرجل المسئول عن هذه المذكرة اسمه "هملي": نعـم يا سيدي هو موجود وموجود في ملفاتنا، وأخرج محضر التحقيق ومعه مذكرة، وتبين في هذه المذكرة ما يأتي:

أن هـناك لجـنة تسمى لجنة المجلات، وطالبت الحركة الصهيونية بزرع المحررين اليهود وإثارة ونشر مقالات مناسبة فـي المجـلات ذات الانتشار الواسع، وإعادة طباعة النصوص وتوزيعها وهي النصوص التي تبدو مؤيدة للنشاط الصهيوني في المنـشورات التـي صدرت في هذه الفترة. هذه المجلات كانت تمول بأموال من وزارة المالية الأمريكية دون علم المسئولين.

ووضعت المذكرة أمام المسئولين عن الحركة الصهيونية بعـض البـنود تطالبهم بضرورة تنفيذها، فعلى مستوى التلفاز والإذاعـة والأفـلام طالبـتهم بـأن يـنظموا أحاديث إذاعية وتليفـزيونية وأفلام تزرع فيها شخصيات موجهة لإثارة بعض القـضايا ضـد الإسلام والمسلمين، وضد العالم العربي، وإنتاج بـرامج تـسوق يبـين فـيها حقوق إسرائيل وعدوان العرب والمـسلمين علـى إسرائيل، وإظهار العرب والمسلمين بمظهر الوحشية وإسرائيل بمظهر الحَمَل والوديع.

ثم هناك تنظيمات دينية مسيحية طالبت بأن تُزرع فيها قادة يؤمنون بفكر الحركة الصهيونية، وأن يتولوا كتابة مقالات مؤيدة في الصحافة البروتستانتية والكاثوليكية وتقاوم كل من ينادي بحق فلسطين في الأرض، وأن الأرض هي أرض الميعاد لإسرائيل.

وفـي الأوساط الجامعية تولوا كذلك العمل على نشر هذه الأفكـار الـصهيونية بـين الطلاب عن طريق إقامة الحلقات النقاشية، والمؤتمرات، وحفلات الرقص، وإخراج بعض الأفلام الاستعراضية، وأفلام تتولى عرض شخصيات إسلامية في شكل كاريكاتوري عملاً على تهجين هذه الشخصيات، وإظهار العربي والمسلم بصورة الإنسان غير المتحضر.

هذا فضلاً عن الصحافة اليومية، والكتب، والمحاضرات، والمشروعات الاقتصادية، ومحاولة العمل على نشر فكرة السفر إلـــى إســـرائيل، وإعانة الذين يطلبون السفر إلى إسرائيل حتى يـــروا مـــا في أرض إسرائيل وأرض الميعاد من تحضر يعود ســـببه إلـــى أنه ذو جذور أوربية أمريكية، ويرى واقع الشعب الفلسطيني الهمجي ليرى الفرق بين هذا وذاك.

هـــذه بعـــض ملامـــح للنشاط الصهيوني على مستويات مـــتعددة في أمريكا في عصرنا الحاضر، وهذا كله كان بمثابة تنفـــيذ لورقة العمل التي وضعها "تيودور هرتزل" في برنامجه الأول الذي عقد في 1897 ميلادية.

هذا -أيها الأخوة- بعض ملامح ما يمكن أن نطلق عليه الـــصهيونية الأمريكية؛ لأن الصهيونية العالمية تأخذ ملمح البلد الـــذي تعيش فيه، وسوف نجد أن هذه الحركة الصهيونية أخذت بُعـــدًا دينـــيًا آخر في أمريكا بالإضافة إلى هذين البعدين البعد السياسي والبعد الاجتماعي.

الفصل الخامس

علاقة الصليبية بالصهيونية

(1)

مـــن المعروف تاريخيًا أن الكنيسة الكاثوليكية ظلت ألفي عـــام تتخذ موقفًا من اليهود يقوم على أن اليهود هم الذين قتلوا يسوع المسيح، وأن اليهود بقتلهم المسيح -عليه السلام- قد قتلوا الرب، فكأن الشعب اليهودي في نظر المذهب الكاثوليكي بالذات يـــسمى عندهم قاتل الرب أو قاتل الإله، وأصبح الشعب المختار عـــند الكاثوليك ليس هو اليهود وإنما هو الكنيسة، وأصبح العهد القديم تجسيدًا رمزيًا للعهد الجديد.

هذا هو موقف الكاثوليكية المسيحية من اليهود، أنهم قتلة الـــرب، وأن الشعب المختار ليس هو اليهود وإنما هو الكنيسة، وأدى هـــذا التفسير في نظر الكاثوليك إلى تصورهم أن اليهود حـــين رفـــضوا الاعتراف برسالة المسيح وأنه رسول من قبل الرب فلم يهتدوا فإنهم بذلك قد قطعوا صلتهم بالأمة الإبراهيمية، وصـــاروا بـــصرف النظر عن كونهم الشعب المختار أو غيره محكـــومًا علـــيهم باللعنة لماذا؟ لأنهم قتلوا الرب من جانب ولم

يعتــرفوا برســالة عيسى من جانب آخر، فعاقبهم الله -سبحانه وتعالــى- بــأن طــردهم من فلسطين ودفعهم سبايا إلى بابل، وعاقــبهم بالنوازل التاريخية التي مرت بهم على طول التاريخ اليهودي، وأصبحت أورشليم في نظر الكاثوليك ليست بذي قيمة تاريخــية، وتــولّد عن هذا أن ظهرت فكرة معاداة السامية هذا المــبدأ الــذي يعتبر مبدءًا مسيحيًا من الناحية النوعية؛ لأنه قد اعتبــرت الكنيسة الكاثوليكية حتى منتصف القرن العشرين أن أبناء الكنيسة هم شعب الله المختار، وأن اليهود هم الشعب القاتل للرب إلى منتصف القرن العشرين تقريبًا، وهذه الفكرة مسيطرة على الكنيسة الكاثوليكية.

وفــيما يــتعلق بالحالــة الخاصة لهذه الكنيسة وعلاقتها بالتاريخ اليهودي، فإنها قد فسرت أن عودة صهيون إلى أحضان بني صهيون أو إسرائيل من الناحية الرمزية تشبه إلى حدٍّ كبير عــودة المسيحي إلى نقائه وصفائه -يعني: كأن اليهود قد تابوا ونابــوا وعــادوا إلى الرب وصالحوا الرب فعادت إليهم أرض صهيون- بهذا التفسير الأسطوري نجد أن العلاقة بين الكاثوليك والــيهود تأخــذ هــذا المنحى التاريخي شد وجذب، لين أحيانًا وقسوة أحيانًا، علاقة اعتراف وعدم اعتراف أحيانًا أخرى.

(2)

إلاّ أن القضية قد أخذت بُعدًا مختلفًا تمامًا عن هذا الاتجاه علــى يد المصلح البروتستانتي الشهير المسمى بــ"مارتن لوثر" هــذا الرجل الذي تحرك في القرون الوسطى تقريبًا 1500 وكذا ليقــضي علــى هذا التقليد الكاثوليكي، ولا ننسى أن هذا الرجل كان أصله صهيونيا، وكان لــه في هذا الصدد موقفان.

فهو كان في البداية متعاطف مع الفكرة الصهيونية، ويرى أن الأرض فــي فلــسطين أرض صهيونية ويجب أن تعود إلى أحضان الصهاينة، لكن هذا الموقف تغير تمامًا، وتحولت محبته للــصهيونية إلــى عداء، وأخذ يقود حركة تطهيرية يحاول من خلالهــا أن يــتخلص من اليهود في أوربا قاطبةً، ليس حبًا في عــودتهم ولكــن حرصًا على التخلص من وجودهم في أرض أوربــا كلها. هذا المسيحي "مارتن لوثر" قائد الحركة التطهيرية أو قائــد حــركة الإصــلاح كــان في أصله ينتمي إلى الفكر الصهيوني قاد هذه الحركة، وأخذت حركته تمتد في ربوع أوربا تحمل معنيين:

معنى التخلص من العنصر الصهيوني في أوربا.

والمعنى الآخر تنادي بعودتهم إلى الأرض -كما قلت- ليس حبًا في تحقيق النبوءة ولا حبًا في الصهيونية، ولكن محاولة للتخلص من العنصر اليهودي الموجود في أوربا.

من هنا يمكن أن نقول أن حركة الإصلاح التي قادها "مارتن لوثر" في هذا القرن السادس عشر مثلت علامة فارقة في تاريخ العلاقة بين اليهود والمسيحيين، فقد أكد المصلحون على أهمية العودة للكتاب المقدس كمصدر وحيد للوحي، وأكدوا أيضًا على أهمية التفسير الحر دون التقيد بالتفسير الحرفي الذي يدعيه أبناء صهيون، وبذلك أعاد المسيحيون اكتشاف الجذور اليهودية للمسيحية، وقد أثر عن "مارتن لوثر" قوله في كتاب له نشر في سنة 1523 بعنوان أن (المسيح ولد يهوديًا): "لقد كانت بمشيئته أن يكون إنعامه على العالم بالدين من خلال اليهود وحدهم دون سائر البشر، لكن اليهود كانوا يمثلون أبناءه المحبون لديه، وما نحن - وهو يقصد أن المسيحيين البروتستانت - إلّا ضيوف غرباء على مائدة اليهود".

هذا الرأي سرعان ما تغير على يد "مارتن لوثر" وتراجع عن هذا الموقف، وسجل تراجعه عن هذه الفكرة في كتاب له صدر عام 1544 بعنوان: (عن اليهود وأكاذيبهم) لاحظ معي

عنوان الكتاب الأول: (المسيح ولد يهوديًا) أما الكتاب الثاني بعنوان: (عن اليهود وأكاذيبهم) صرح "مارتن لوثر" في هذا الكتاب "من ذا الذي يمنع اليهود من أن يعودوا إلى أرضهم في يهوذا لا أحد، بل وإننا على أتم استعداد أن نساعدهم بكل ما قد يحتاجونه في رحلتهم إلى أرضهم المقدسة" واسمع معي هذه العبارة: "لمجرد أن نتخلص منهم فهم عبء ثقيل ومصيبة حلت بنا" هذا تعبير "مارتن لوثر" الموقفان مختلفان تماما ففي الموقف الأول يربط بين المسيحية واليهودية في كتابه: (المسيح ولد يهوديًا).

وموقف آخر على النقيض من الموقف الأول ينادي فيه بضرورة التخلص من اليهود.

ولقد فطن "مارتن لوثر" حين اكتشف أن اليهود قد استطاعوا أن يؤثروا في حركة التاريخ قبل مجيئه إلى التاريخ، ولذلك جعل من مهمته تصحيح التاريخ الذي زيفه اليهود، وأنه حتى تتحقق النبوءات التي يدعونها، ويكون المجيء الثاني للمسيح ينبغي أن يكون تجمع اليهود ليس في أوربا وليس في ألمانيا، وإنما هناك بعيدًا عن دولة أوربا كلها، ولابد من تحويلهم بعيدًا عن الأرض الألمانية، وعن الأرض الأمريكية أيضًا، لماذا؟ لأننا سوف نجد أن "مارتن لوثر" هذا قد تولدت عن

حـركته تلـك حركة تسمى (حركة الأطهار) التي هاجرت إلى أمـريكا فيما بعد، والتي فسرها البعض بأنها ميلاد جديد للدولة الأمـريكية، كمـا أن هجرة اليهود إلى إسرائيل أو إلى فلسطين مـيلاد جديـد للدولة العبرية، وكان ذلك هو الحل الذي طرحه بعـض علماء اللاهوت وهو عضو المجلس العمومي البريطاني الـسير "تـوماس برايتمان" حين طرح قضية الهجرة في مطلع القـرن العـشرين ونادى بها المتطهرون أنه لا بد من أن نعمل على هجرة اليهود من ألمانيا وأوربا إلى أرض الميعاد.

(3)

الصليبية الصهيونية:

وهـذا المعنـى قد صرح به الأصولي الصهيوني "وليم بليكتسون" في كتابه الذي طبعه بعنوان: (المسيح قادم) وبات هذا الكـتاب أشبه بالكتاب المقدس للإنجيليين في أمريكا، ومن هذا الـتاريخ -تـاريخ نـشر هذا الكتاب الذي هو (يسوع آت) أو (المـسيح قـادم)- بدأت في أمريكا تتأسس حركة بروتستانتية صـليبية صـهيونية تعمـل على تجميع ما يسمى بالصهيونية الـصليبية تحت مضمار واحد في ربوع أمريكا، وعلى طريق

هذه الجمعية -جمعية الصهيونية الصليبية- بدأت تتأسس حركة جديـدة فـي أمـريكا كان لها أثرها البالغ الخطورة في مسار الـتاريخ الأمريكـي إلـى وقتنا الحاضر وألفت النظر هنا إلى نقطتين مهمتين :

1- نجـد أن "لوثر" إذن تصدر الدعوة إلى تجميع اليهود في فلـسطين وإعطائهم الدعم المسيحي لتعود فلسطين وطنًا لهم، فليس حبًا فيهم -كما قلنا- وإنما محاولة للتخلص من اليهود.

2- كـذلك نجد السبق الذي كان للبروتستانتية والإنجيلية التي تولدت في أمريكا تعمل على تكوين ما يسمى بالصهيونية الـيهودية، وهـو سبق تاريخي اختلطت فيه التصورات والأهـواء والعواطـف والـرموز الدينية؛ لتجعل لحركة التطهيـر التي هاجرت من أوربا إلى أمريكا ما يمكن أن يـسمى بالرمـز لعـودة اليهود إلى أرض فلسطين، وبدأ البعض يقارن بين هجرة المتطهرين من أوربا إلى أمريكا وهجرة اليهود من شتى أنحاء العالم إلى إسرائيل، وكأنما هـناك تاريخ مشترك بين تأسيس الدولتين، حتى إننا نجد أن بعـض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية كـ"جيمي

كارتر" مثلاً يعلن بصراحة: "أننا والشعب الإسرائيلي كلنا من الشعوب المهاجرين الرواد". هذه بعض الملامح عن هذه الحركة التطهيرية التي بدأت على يد "مارتن لوثر" في ألمانيا.

(4)

نبوءة الظهور :

ونجد أن هذه الحركة بعد أن ترتب عليها هجرة أوربية إلى أمريكا بدأت نظرية جديدة تظهر في الأفق البروتستانتي، هذه الفكرة مضمونها أو ملخصها أن السيد المسيح سوف يظهر في الألفية الثالثة ليحكم العالم، وأن هذا الظهور سوف يكون على أرض فلسطين، ولن يتم هذا الظهور إلّا بعد إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين، فالنظرية تسمى النظرية الألفية أو نظرية المُلك الألفي، بدأت هذه النظرية تأخذ ظهورًا تاريخيًا شيئًا فشيئًا في بعض الكتابات البروتستانتية، وهي تعني : أنه عندما يجتمع اليهود من الشتات في أرض فلسطين ستقوم معركة عالمية بين قوى الخير والشر، ويعود المسيح لتنتصر قوى الخير ويقيم مملكته على الأرض والتي ستدوم ألف عام مع

خلاف بين المسيحيين بعضهم مع بعض إذ يعتقد بعضهم أنهم ليسوا مطالبين بالعمل لعودة اليهود من الشتات إلى فلسطين، حتى يتحقق الملك الألفي؛ لأن هذا سوف يحدث من وجهة نظرهم بفعل إرادة الله، ودون تدخل من أحد، وكان هذا أصل ظهور نظرية المُلك الألفي.

لكن بعد نكبة أو بعد حرب يونيه 1967 قلبت الموازين، ومن الأهمية بمكان ونحن نحاول الوقوف على هذا الدور الذي لعبته الصهيونية البروتستانتية في تمكين الصهيونية العالمية من تنفيذ مشروعها فيه على مستوى العالم العربي بالذات في فلسطين، نجد أن إسرائيل رفعت مظلة الحماية البالغة الشراسة التي حمل لواءها الشعب الأمريكي والسياسة الأمريكية ممعنة في العنف الدموي فوق تلك المظلة التاريخية مستعينة بهذه النبوءة والترويج لهذه النبوءة، حتى إنه من الأهمية بمكان ونحن نحاول أن نظهر أثر هذه النبوءة في مواقف الصهيونية المسيحية في أمريكا، وفي محاولة لتفسير النشاط البروتستانتي الصهيوني في أمريكا فنجد أن زعماء هذه الحركة إذا تكلم الواحد منهم فإنه يتكلم وكأنما يخبرنا عن الله، أو يتكلم بصوت الله، أو يسمعنا صوت الله، وأن سلطته مستمدة من الله، وأنه حين يتكلم عن هذه النبوءة فإنما يخبرنا أيضًا بوعد الله، وكأنما

قضية النبوءة الواردة في التوراة أصبحت تأخذ وضعها الطبيعي بين كتّاب اللاهوت البروتستانتي كما أن نبوءة الشعب المختار، ونبوءة الوعد بالأرض بفلسطين أخذت أيضًا مكانها في كتابات بعض مفكري اللاهوت اليهودي، وبدأ البعض يقارن بين النبوءتين أسطورة الوعد بالأرض وأسطورة الشعب المختار، بأسطورة النبوءة الإلهية الواردة في التوراة بعودة المسيح ليحكم العالم من أرض فلسطين، وأن هذه العودة لا تتم إلّا بعد قيام دولة إسرائيل.

ولذلك نجد أنه قد ازداد ميل المهاجرين الأوربيين المعروفين بالأطهار أو المتطهرين، أو المخلصين، أو سمهم ما شئت فإن كل هذه الأسماء تتردد حول الذين هاجروا من أوربا ليسكنوا أمريكا تحت تأثير حركة التطهير التي قام بها "مارتن لوثر" ازداد ميلهم إلى إسباغ الهوية اليهودية على أنفسهم وبدءوا يتخلصون من الفكرة الكاثوليكية التي تميل إلى اعتبار أن اليهود قتلة الرب، لا، بل بدءوا يتخلصون من هذه الفكرة تمامًا، بل أكثر من هذا ازداد ميلهم إلى أن يسبغوا على أنفسهم الهوية اليهودية، وإن شئت اليهودية الصهيونية إلى حد أنهم أقنعوا أنفسهم بأنهم العبرانيون الحقيقيون، وأنهم شعب الله المختار فعلاً، وفي اقتناعهم بذلك ذهبوا إلى حد التخلي عن مبادئ

الرحمة، والاعتدال، والمغفرة في صوغهم لطريقة حياتهم الخاصة والتي نزل بها المسيح -عليه السلام- لطريقة أخرى أضفتها عليهم ميولهم إلى الحياة العبرانية.

هذا ما نجده واضحًا في سلوك هؤلاء المتطهرين في هذه الفترة من التاريخ، انتقال من سلوك وحالة اجتماعية وانتماء ديني، إلى انتماء آخر وسلوك آخر وهوية أخرى، ولذلك لا نعجب أن نجد أن هؤلاء قد أطلقوا على أنفسهم أو أطلق عليهم المؤرخون اسم: "الصهيونية الصليبية" البعض يسميهم: "الصهيونية المسيحية" لكنني أرفض هذا؛ لأن المسيحية الصحيحة ترفض ما عليه هؤلاء.

هذا الميل والولاء الذي بدأ يظهر شيئًا فشيئًا في سلوك ما يسمى بالمتطهرين إلى الحركة الصهيونية والشعب الإسرائيلي -هو الذي يفسر لنا أن كتابات الساسة الإنجليز عمومًا من القرن التاسع عشر بدأت تأخذ لونًا من التعاطف مع اليهود ومع الحركة الصهيونية، كما نجد دعوة عالمية لإعادة اليهود إلى فلسطين تتردد في كتابات الساسة الإنجليز، هذه الاتجاهات التي ظلت تعمل عملها إلى أن ولدت لنا وعد "بلفور" 1917، والذي يحلله المؤرخون للحركة الصهيونية بأن "بلفور" هذا نفسه قد تربى في أيام صباه على دراسة العهد القديم بتوجيه ودفع حثيث

مـــن والدتـــه المتديـــنة تديناً عميقاً، والذي ينتمي إلى أسرة من المتطهرين الذين آمنوا بالولاء للفكرة الصهيونية.

هكذا نرى الأطهار رأوا أن أمريكا أيضاً بالنسبة لهم هي أرض المـــيعاد التي هاجروا إليها، بل إنهم كانوا يرون أنهم هم الكنعانيون الجدد على أرض أمريكا؛ لذلك كانت هجرتهم الأولى تحمل معها نزعة عبرية ظهرت آثارها في الحضارة الأمريكية الأولـــى فـــي هذا العهد. هذه الحضارة التي بُنيت أصولها على أفكـــار مـــسيحية يهودية التراث لماذا؟ لأنه قد رأى المتطهرون الأوائل أن أمريكا هي أرض الميعاد وفسروها هذا التفسير أي: هـــي الأرض التي سيقيم فيها الله ويقيم فيها وطناً ومملكة للخير وهـــم روادهـــا -أي: الأطهـــار- وهذه الرؤية الدينية هي التي جعلـــت مـــن الأرض الأمريكية أرضاً لها طبيعة دينية خاصة، وهي التي جعلت المهاجرين الأوائل من الأطهار يتميزون بحالة إيمانـــية خاصـــة، فأرض الميعاد هي لأصحاب الميعاد كما أن أرض التوراة لأصحاب التوراة؛ لذلك بدأ يظهر بين الأمريكيين الأصـــوليين الأوائـــل شعور بأنهم شعب الله المختار، أو شعب مميـــز، أو شعب أرقى من بقية الشعوب، وهذا الشعور ما كان لـــه أن يتأكد إلا من خلال التوحد مع الثقافة والحضارة اليهودية كتصور لما جاء في الكتاب المقدس، وكشعب يوجد بالفعل، لقد

رأى الأطهـــار الأوائـــل مـــن أنفسهم شعبًا يهوديًا جديدًا أو هو امتداد للشعب اليهودي الذي يبحث عن وطن له.

فـــي هـــذا المـــناخ نستطيع أن نقول: إن الجذور الأولى للمجتمع الأمريكي هي التي تأثرت بهذا الفكر الصهيوني الجديد إلـــى حـــد كبيـــر؛ مما جعل المجتمع الأمريكي مخترقًا من قبل الفكـــرة اليهودية، وهذه العبارة "مخترقًا من قبل الفكرة اليهودية" تكـــررت فـــي كـــتابات كثيـــر ممن أرخوا للحركة الصهيونية يقولـــون: إن المجـــتمع الأمريكي أصبح مخترقًا من قبل الفكرة الصهيونية والفكرة اليهودية، وفي بداية نشأة المجتمع الأمريكي رحّـــب الأمـــريكيون الأطهار بقدوم اليهود، ووجدوا فيهم شعبًا يمـــاثلهم أو أمـــة تمـــاثلهم، فهم مهاجرون إلى أمريكا واليهود مهاجـــرون أيـــضًا إلـــى أمـــريكا، وتوجهوا بشيء من التبشير البروتـــستانتي فـــي هذا المجتمع اليهودي الجديد، ولعل المعنى يكون واضحًا من وراء ذلك، فهو تعبير عن رغبة عميقة للتوحد بين الأصولية الأمريكية اليهودية والأصولية البروتستانتية التي تمثلت في قدوم الأطهار إلى هذه المنطقة.

التوحد الفكري :

وأيضًا هو توحد فكري يتوج بتحول اليهود إلى المسيحية، والمسيحية البروتستانتية إلى اليهودية، وتصبح أمريكا في هذا الوقت من التاريخ هي أرض الميعاد لكلّ من اللونين، ويصبح اليهود والأصوليين الأمريكيون هم شعب الله المختار معًا، إلى هذا الحد كانت التحليلات العلمية لظاهرة قدوم الأطهار أو المتطهرين من أوربا وهجرة بعض اليهود إلى هذه المنطقة من العالم، ومحاولة التوحد فكريًا وثقافيًا وعقائديًا بين المتطهرين القادمين من أوربا واليهود المهاجرين إلى أمريكا، ومع مرور الوقت كان يتضح أن ما كان الأطهار الأوائل ينظرون إليه بعين لم تتحقق فقد أصبحت أمريكا دولة لا دينية يسود فيها الفكر الليبرالي الإلحادي، عكس ما كان يرجو المتطهرون في بداية عهدهم بأمريكا.

ونجد أنه في منتصف القرن العشرين ظهر في هذا المجتمع نوع أطلق عليه المحللون اسم "الرجاء الجديد" أو "أرض الميعاد الجديدة" فالرجاء هو: عودة اليهود إلى فلسطين، وأرض الميعاد هي: فلسطين، ولكنها أرض رمزية لن يرحل إليها الأمريكيون بل يرحل لها اليهود، فتحل بركات الميعاد على أرض أمريكا، ويتوحد الأصوليون مرة أخرى مع اليهود كيف؟

نجد أنه منذ نهاية الحرب العالمية الأولى بدأت الأصولية الصهيونية الصليبية بدأت تحت ما يسمى برجاء العودة تعمل على دفع أصحاب القرار السياسي شيئًا فشيئًا إلى العمل على ميلاد دولة فلسطين خاصة أنها قد خرجت من الحرب العالمية الأولى منتصرة، وبدأت تتولى زمام الأمور على مستوى العالم، فبدأت الأصولية الصهيونية الصليبية البروتستانتية تعمل تحت ما يسمى بعامل الرجاء بعودة اليهود إلى أرض فلسطين، والعمل على لمّ شتات اليهود من أنحاء العالم إلى هذه الأرض المقدسة، ويحدث في هذا الرجاء نوع من التوحد مرة أخرى بين المتطهرين أو البروتستانت أر الصليبية الصهيونية والصهيونية اليهودية من جانب آخر، تتمثل هذه الوحدة في ماذا؟ في أن الشعب الأمريكي يتأثر بدعوة البروتستانت في مساعدة اليهود لإقامة دولتهم، فتحل عليهم البركة وتكون أرض الميعاد الجديدة -التي هي فلسطين- أشبه بأرض الميعاد القديمة التي حل بها المتطهرون من قبل، ويصبح شعب الله المختار هو الشعب اليهودي الصهيوني الذي حلّ بأرض فلسطين كما كان شعب الله المختار هو التوحد الصهيوني الصليبي الذي تم على أيدي الأطهار أو المتطهرين، وعلى يد اليهود منذ قرن أو أكثر من قرن من الزمان.

هـذا الانـتماء الـصهيوني قـد سرى في طريقة الحياة الأمـريكية وتـسلل في نسيجها بعد ظهور قضية الرجاء، وأخذ هـذا الولاء يظهر أثره شيئًا فشيئًا في جميع القرارات الأمريكية التـي تتعلق بالشرق الأوسط، ويفصح عن مدى ذلك التغلغل ما أظهـره الجمهور الأمريكي العريض من تحمس بالغ للانتداب البريطانـي علـى فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى، ثم إدانة أمـريكا العالمـية لـصوت وسياسـة بريطانيا في فترة ما بين الحربين تجاه فلسطين، كلما بدا أن تلك السياسة خرجت عن خط وعـد بلفـور، وقفت لها أمريكا بالمرصاد، ثم جاء عام 1967 فمـثل تاريخًـا جديدًا لـه دلالة خاصة في الظاهرة الدينية في أمـريكا بالـذات خاصـة في فكر جماعة الصهيونية الصليبية البروتستانتية بالذات؛ لأن هزيمة العرب في 1967 قد أدت إلى ظهور الأصولية الإسلامية من تيار نخبوي قليل العدد ثم تحول إلـى تـيار شـعبي عمّ المسلمين قاطبةً، وأصبحت الجماعات الإسـلامية بديلـة عن الحكومات الإسلامية في نظر الشعوب، وأدى الانتـصار بالنسبة لإسرائيل إلى تقوية الأصولية اليهودية إذ فسرت هذا الانتصار بأنه دليل على أن الله معها، وأن عوامل الـتاريخ التـي تمهد لنزول المسيح في إسرائيل قد بدأت تظهر بوادرها، وأن الأصولية الصهيونية الصليبية في أمريكا قد بدأت

تجنـي ثمرات النبوءة التي بشرت بها في أمريكا، وهي النبوءة القائلة بأن المسيح سوف ينزل ليحكم العالم من أرض فلسطين.

كمـا أدى انتـصار إسـرائيل إلى دعم أفكار الأصولية المسيحية في أمريكا من جانب آخر ومنها إلى العالم كله. نتيجة انتـشار هـذه الأفكار المتعلقة بعودة اليهود وانتصارهم تمهيدًا لقـدوم المـسيح -علـيه الـسلام- مما غلّب التيار المتطرف الصهيوني في فلسطين وفي أمريكا، وجعل صوته عاليًا ومؤثرًا في القرارات السياسية الأمريكية بل والأوربية أيضًا.

وهناك عامل آخر ترتب على انتصار إسرائيل في 1967 أنه فتح الطريق لازدهار الصهيونية الصليبية، فقد قارن الشباب الأمريكـي بـين هزيمتهم في "فيتنام" مثلا وانتصار اليهود في 1967، وفـسروا ذلك بأن الله لم يكن معهم في "فيتنام" لكنه كان مع اليهود في 1967؛ لأنهم شعب الله المختار.

وفي عام 1970 نجد أن بعض المفكرين الصهيونيين كتب كتابًا بعنوان "الراحل كوكب الأرض العظيم" وبعد عشرين سنة مـن الطبعة الأولى لهذا الكتاب وصلت مبيعات هذا الكتاب إلى أكثر من 18 مليون نسخة، وبذلك يمكن أن يقال: إن هذا الكتاب كان أكثر الكتب رواجًا في أمريكا في هذه الفترة بالذات، لماذا؟

لأن الكتاب -أيها الأخوة- أخذ يشرح تاريخ العالم من وجهة نظر عقائدية بحتة، وهذه النظرة العقائدية هي نظرة صهيونية صليبية بروتستانتية مائة في المائة، فهو يشرح ماضي التاريخ في ضوء الاتفاق التام مع نبوءات الكتاب المقدس بعهديه: العهد القديم والعهد الجديد، ومن ثم يمتد بالتاريخ من الماضي إلى المستقبل؛ ليُقنع العالم أن ما سيحدث في المستقبل سوف يكون أيضًا طبقًا لنبوءات الكتاب المقدس بحسب فهمه لها، لماذا؟ لأن ما تنبأ به الكتاب المقدس وقع في الماضي.

إذن ما جاء في الكتاب المقدس من نبوءات تتعلق بالمستقبل سوف يقع في المستقبل أيضًا كما وقع نظيره في الماضي حيث يقيس المستقبل على الماضي، وهذا من وجهة نظره، والرؤية التاريخية التي عرض لها المؤلف في مجملها تدور حول قوى الشر وقوى الخير في العالم، وكيف سيبدأ العد التنازلي لنهاية العالم من خلال تجمع اليهود من الشتات في دولتهم في فلسطين، ثم تتجمع قوى الخير ممثلة في أمريكا؛ لتحارب قوى الشر العالمي في معركة عالمية تسمى معركة "الهرمجدون" وفي هذه المعركة تنتصر قوى الخير على قوى الشر، ثم يأتي المسيح ليحكم العالم كله لمدة ألف سنة.

محاور الخير والشر :

وخلال صفحات هذا الكتاب يتعرض المؤلف للدول المختلفة؛ ليصنفها فهي إما تنتمي إلى محور الخير أو إلى محور الشر، فروسيا مثلاً ضمن قوى الشر، والعرب والمسلمون قاطبةً ضمن محور الشر، ولذلك فإن انتصار إسرائيل في حرب 1967 يمثل في نظر المؤلف جزءً من الخطة الإلهية لانتصار قوى الخير، وقيام إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات ليتجمع فيها كل شعب الله المختار حتى عندما تقوم الحرب الأخيرة ويموت فيها أغلب اليهود حسب رواية يوحنا اللاهوتي، وحسب النبوءة الواردة في التوراة التي تقول: لا يبقى من اليهود (سوى 144000) لا يزيدون ولا ينقصون، حين يحدث هذا يأتي المسيح ويعطي لشعبه المختار المتبقي فرصة أخيرة حتى يقبلوه كمخلص للعالم، فاليهود إذن في النهاية هم شعب الله المختار وهم الذين يأتي إليهم المسيح ليؤمنوا به، وعن طريقهم يخلص العالم من كل الشرور، ومن هنا يصل المؤلف إلى أن اليهود كشعب مختار قد ضل الطريق في البداية، ولكن الله لم يتخل عن شعبه المختار؛ لذلك تظل له مكانة خاصة، وتظل له ما يسميه بالفرصة الأخيرة؛ لأن كل قوى الشر سوف تتحطم في معركة "الهرمجدون" ويذهب الأشرار إلى

الجحيم، وكل من رفض المسيح كمخلص للعالم يذهب إلى الجحيم، أما شعبه المختار الذي رفضه أولاً وأعطاه الرب فرصة أخرى حتى يقبله فهو الذي ينزل إليه المسيح ليأخذ بيده ويقود العالم نحو الله مرة ثانية.

ومن العجيب أن بعض الساسة الأمريكان كان يؤمن بهذه الخرافات، فوجدنا مثلاً الرئيس "رونالد ريجان" كان من أنصار الصهيونية المسيحية أو الصهيونية الصليبية المتحمسين لهذه النبوءة المؤمنين بها والمصدقين بها، فقد قرأ هذا الكتاب وتأثر به تأثرًا شديدًا، وقد صرح الرئيس ريجان لجريدة "الواشنطن بوست" في 18 أبريل سنة 1984 بأنه كان يشعر عند الانتخابات بأن المسيح يأخذ بيده، وأنه سوف ينجح ليقود معركة "الهرمجدون" التي يعتقد أنها ستقع خلال الجيل الحالي في منطقة الشرق الأوسط[1].

بل أكثر من هذا عجبًا أنه في هذا الوقت ظهر خبر في الصحافة المصرية يقول: إن أحد سياسي البيت الأبيض كتب في مذكراته أن "تانسي ريجان" حرم الرئيس "ريجان" كانت تستشير عرافة في نفس هذا الوقت، كانت هذه العرافة تأخذ عطاءها من

(1) الخليفة التوراتية للموقف الأمريكي، ص31 وما بعدها، 179-200؛ سقوط الأقنعة: السفير محمد والي، ص51-52 وما بعدها.

البيت الأبيض وتقيم حفلاتها التعبدية داخل أحد الفنادق الكبرى في القاهرة، ولم يلفت أحد إلى هذه المقابلة الطريفة التي تمت برغم ما فيها من دلالة، فزوجة رئيس أكبر دولة في العالم تحدد لزوجها طريقه من خلال الرؤى والنبوءات الدينية، ومن خلال مواعظ امرأة أصولية بروتستانتية كان لها شرف إرشاد الرئيس وسيد البيت الأبيض إلى القرارات التي يجب عليه أن يتخذها بشأن قضية الشرق الأوسط.

وكان الرئيس "ريجان" يطلق على الاتحاد السوفيتي لقب "إمبراطورية الشر" وكان يتمنى أن يقضي على هذه الإمبراطورية وهو في الرئاسة، وهذا التعبير -أيها الإخوة- ليس مجرد وصف، بل هو سرد كامل للنبوءات وانتظار لتحقيق هذه النبوءات، وهو نفس التفسير الذي قال به "ريجان" فإن إمبراطورية روسيا هي التي ستقود كل قوى الشر من العرب والمسلمين وتزحف حتى منابع البترول وتصل إلى أرض فلسطين، وهناك سوف تقابل أمريكا في معركة حامية الوطيس، أمريكا التي هي شعب الله المختار التي تقود كل قوى الخير لتقضي به على كل قوى الشر الذي هو الاتحاد السوفيتي وما معه من الدول العربية والدول الإسلامية، ولكن والحمد لله سقط الاتحاد السوفيتي قبل أن تقوم هذه المعركة لأبين لكم -أيها

الأخـــوة- مـــدى شـــناعة الأســـاطير التي أسست عليها الفكرة الـــصهيونية، وبالتالي قامت على أساسها الدولة الإسرائيلية على مـــرأى ومسمع من العالم كله، ولكن سقوط الاتحاد السوفيتي لم يجعـــل "ريجـــان" يتوانى عن استعداده لخوض المعركة الكبرى "الهـــرمجدون" فهي ليست الأمل الذي يمكن التنازل عنه؛ لأنها انتـــصار لقـــوى الخير العالمية على قوى الشر العالمية، وكان ســـقوط إمبـــراطورية الشر في نظر "ريجان" يعني ضياع الحلم الـــذي كان يعيش من أجله، أو الذي كان يراود نفسه بأن يعيشه عمـــلاً وواقعًـــا كمـــا عاشـــه نظـــريًا، ولكن كان سقوط هذه الإمبـــراطورية -التـــي هـــي إمبراطورية الشر روسيا- كان انتصارًا مرحليًا لقوى الخير قبل وقوع معركة "هرمجدون" فإذا كانت الإمبراطورية الكبرى للشرق قد سقطت فيذا لا يعني من وجهـــة نظرهم أن الحرب لم تقع، لا بل هم يؤمنون بأنها واقعة لا محالـــة ونحـــن وهـــم فـــي انتظارها وإلى أن تقوم معركة "الهـــرمجدون" بـــين قوى الخير التي تدعي أمريكا أنها تمثله، وقوى الشر التي تصنف أمريكا أنها تشمل العالم الإسلامي كله نحـــن في انتظار هذه المعركة، وربما كان المأزق الذي تعيشه أمريكا في العراق هو البداية الطبيعية للهزيمة الكونية التي بدأت تعيشها أمريكا من الآن وبقية الهزائم آتية إن شاء الله.

وسائل أمريكا لتضليل الرأي العام تحت شعار محاربة الإرهاب:

إن الواقع التاريخي قد أثبت كذب هذه النبوءات من أولها إلى آخرها، فقد سقط الاتحاد السوفيتي ولم تقم أو لم تقع معركة "الهرمجدون" ومعنى سقوط إمبراطورية الشر -التي هي الاتحاد الـــسوفيتي- لا يعنـــي انـــتهاء أهـــل الشر في العالم، أو نهاية إمبـــراطورية الشر في العالم، هكذا فسر "ريجان" وفسر أنصار الاتجـــاه الـــصهيوني الصليبي في أمريكا، فحوروا القضية من معـــركة "الهرمجدون" إلى ما يسمى بمحاربة الإرهاب العالمي، وأخـــذ مصطلح الإرهاب يحل محل معركة "الهرمجدون" ورفع فـــي أمـــريكا شعار: الحرب العالمية ضد الإرهاب، وانتهى من علـــى ألـــسنة الساسة الأمريكيين مصطلح معركة "الهرمجدون" وأخـــذوا يقولون: إن روسيا إذا كانت قد سقطت أو سقط الاتحاد السوفيتي فإن ذلك ليس إلّا مرحلة تاريخية من مراحل الصراع بـــين قوى الخير وقوى الشر، ولذلك نقلوا المعركة بكاملها من مـــواجهة بين الخير والشر في معركة "الهرمجدون" إلى معركة تاريخـــية جديـــدة بـــدءوا يرفعون لها شعارًا جديدًا وهو شعار "الحرب العالمية ضد الإرهاب".

أرجـو أن نعـي تمامًا الواقع التاريخي ونحن نفسره من واقـع الكـتابات التـي ظهـرت في أمريكا تحت التأثر بالفكر الصليبي الصهيوني، وتحت فكرة أن أمريكا هي رسول الله إلى العـالم لـتحارب الشر في العالم، ولتعمل على سيادة الخير في العالم، وجدنا انطلاقًا من هذا التفكير الأسطوري في سنة 1986 لعلكم تذكرون -أن أمريكا قد قامت بضرب ليبيا في هذا التاريخ 1986، وكـان السبب الذي ظهر في الإعلام الأمريكي تبريرًا لهـذا الموقـف الأمريكـي من ليبيا -أن ليبيا بلد إرهابي، وأن أمـريكا تحاربها من منطلق أنها مسئولة عن محاربة الإرهاب فـي العالم، ولكن الواقع التاريخي أثبت خلاف ذلك تمامًا، فلقد صرح الرئيس الأمريكي "ريجان" وهذا التصريح أيضًا معلن في الـصحف الأمـريكية ونـشر في صحيفة "سان ديجو" ونشرته بعـددها الصادر في أغسطس عام 1985 بماذا صرح ريجان؟ صـرح بالآتـي: قال: إن "ريجان" كره ليبيا؛ لأنه يرى أن ليبيا واحـدة مـن أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم النبوءات الواردة في الكـتب المقدسـة، وأنها عدوة لشعب الله المختار وبالتالي يجب ضـربها وإبادتها انتصارًا لشعب الله المختار، وتحقيقًا للنبوءات الواردة في الكتب المقدسة، لماذا؟ لأنها عدوة لله[1].

(1) الخليفة التوراتية، ص71 وما بعدها.

يقول الصحفي الذي أجرى هذا التحقيق مع "ريجان": لقد انتحـى بي "ريجان" جانبًا أثناء حفل العشاء، وأخذ يتحدث إلي عـن النبوءات الواردة في الكتاب المقدس، وعن حتمية نشوب حـرب مع الاتحاد السوفيتي؛ لأن السوفيت في نظره هم يأجوج ومأجوج الذين ورد ذكرهم في الكتاب المقدس، وأن هذه الحرب سوف تكون آخر حرب كبرى يشهدها العالم، وأن "ريجان" هو المؤهل لقيادة هذه الحرب، ثم التفت إلى الصحفي بحدة وقال له: إننـي قـرأت فـي الإصحاح 38 من "سفر حزقيال" أن أرض إسرائيل سوف تتعرض لهجوم تشنه عليها جيوش الأمم الكافرة، وأن ليبـيا سـوف تكـون من بين تلك الأمم. هذا ما صرح به ريجـان لهـذا الـصحفي، وبناءً على هذا التصريح وجد عنده المبـرر الذاتـي لضرب ليبيا، ثم ظهر على العالم بأنه يضرب ليبـيا لمـاذا؟ لأنيـا دولة إرهابية. هذه هي السياسة الأمريكية المتأثرة بحركة الصهيونية الصليبية في أمريكا.

وإذا انتقلـنا مـن الـرئيس "ريجان" إلى الرئيس "جيمي كارتر" وجدنا أن هذا الرئيس قد نجح إلى حد ما في أداء بعض الواجب المقدس عليه الذي يؤمن به تجاه إسرائيل، حيث أمّن لها الـسيادة وحيازتها لكل الأرض المتعاقد عليها أو التي أبرم الله الوعد بينه وبين أنبياء بني إسرائيل من أجلها، وفرح بذلك فرحًا شديدًا، واعتبر نفسه أنه بذلك قد حقق النبوءات التي سيسود تبعًا

لتحقـيقها سلام إسرائيل في العالم كله، وصرح الرئيس "جيمي كارتر" بذلك في بعض المناسبات، وأعلن أنه إنما فعل ذلك؛ لأن بيـنه وبين إسرائيل تاريخًا مشتركًا وتراثًا مقدسًا مشتركًا، وهو يقـول بينه وبين إسرائيل لا يعني بينه وبين شخصه ولكن بين القـوة الصهيونية الصليبية التي يقودها والتي يمثلها في أمريكا وبـين إسرائيل تراثًا مشتركًا، وهو النبوءات الواردة في التوراة عن نزول المسيح في أرض إسرائيل.

وإذا انتقلنا إلى الرئيس "بوش" الابن الموجود حاليًا نجد أنه هو الآخر لم يكتف بما فعله الرئيس "ريجان" ولا بما فعله "بوش" الأب، ومن المفيد أن نذكر هنا أن "بوش" الأب بعد حرب الخليج الثانـية وبعد أن تم تحرير الكويت أعلن في حفل تحرير الكويت أنـه بـذلك يعلـن النظام العالمي الجديد الذي تقوده أمريكا في المنطقة. تابعوا معي هذه التصريحات وهذه التواريخ؛ لأنها على درجـة كبيـرة مـن الأهمـية لنعلم كيف تدير أمريكا وإسرائيل الحركات الانقلابية وحركة التاريخ في المنطقة العربية.

جاء "بوش" الابن كما قلنا ورأى أن "كارتر" لم يقم بواجبه تمامًـا تجاه إسرائيل، وأخذ يعلن ويصرح أنه سوف يأخذ على عاتقـه التمهـيد الكامل لسيادة إسرائيل وسيادة أبناء النور على أبناء الظلام في المنطقة وبالتالي في العالم كله، وأبناء النور كما ذكـرنا من قبل هم الأمريكيون واليهود، وليس كل الأمريكيين

للأسـف الشديد، بل كل الأمريكيين الذين ولدوا ولادة ثانية بعد هجرة أبناء النور من أوربا إلى أمريكا.

هـذه كلهـا مسائل يؤمنون بأن التوراة قد تنبأت بها، وأن مهمـة أمـريكا المعاصرة -بما أنهم يمثلون أبناء النور- مهمتها الأساسـية هي القضاء على أبناء الظلام، على محاور الشر، وأن محـاور الشر تتمثل عندهم في العرب وفي المسلمين بعد سقوط الاتحـاد الـسوفيتي من أمامهم - قضية سقوط روسيا أو الاتحاد الـسوفيتي- لا تعنـي انـتهاء محاور الشر كما قلنا، وإنما تعني مـرحلة من مراحل المواجهة بين قوى الخير التي تمثلها أمريكا، وقوى الشر التي تتمثل في العرب المعادين لإسرائيل، ولا يخفى علـى حـضراتكم أن هذا التفسير التاريخي كله يصب في صالح إسـرائيل وضد فلسطين وضد العرب، وأمريكا الأمة التي جعلت نفسها حامية للخير ومحاربة للشر أعلنت أن الرب قد حملها هذه الرسـالة وخصها بها دون سائر الأمم، وما الذي يمكن أن تفعله إزاء هـذا الاختـيار الإلهـي؟ هـي أعلنت أن الله اختارها لهذه المهمـة، وأن الـرب قد قرر ذلك، وهي لا تملك مخالفة مشيئة الـرب، ولن تكف عن البر وتحقيق ما وعد الرب به، ولا بد من مواجهة محاور الشر وعوامل الظلام في العالم، ولتكن البداية من المنطقة العربية، لماذا؟ لأنها تريد أن تقعّد وترسي وتضع جذور إسـرائيل فـي المنطقة كما نبأ بذلك العهد القديم، ولذلك نجد أن

نصوص التوراة التي ترددت على ألسنة المسئولين من الطبقة الحاكمة لأمريكا الآن تتردد وتدور كلها حول النبوءات الواردة في التوراة، حول ضرورة الانتصار لله ممثلاً في الانتصار لإسرائيل، وحول تحقيق وعد الله بتحقيق قيام دولة إسرائيل، وأن الصيغة التي استخدمتها التوراة، وصرح بها الرب في التوراة لابد أن يحققها أبناء النور الذين هم الشعب الأمريكي.

لا أريد أن أترك هذه الأمور حتى أوضح لكم تمامًا أن الواقع الذي نعيشه يحتاج إلى نظرة فاحصة في تفسير الواقع، وتفسير السياسة الأمريكية في المنطقة؛ لأن أمريكا من منطلق النبوءات الواردة في التوراة تعتقد أن المعارك القائمة في المنطقة العربية بين إسرائيل وأمريكا من جانب، وبين العرب والمسلمين وفلسطين من جانب آخر هي معركة بين الرب والشيطان، ولذلك تجدهم في أسفار العهد القديم يأخذون منها هذه النصوص ليجعلوها شعارًا لمعاركهم ضد العرب.

يقولون: حرموهم بالسيف -يعني: اذبحوهم يعني: اذبحوا العرب- لا تأخذكم بهم شفقة، اذبحوهم رجلاً رجلاً، وامرأة وشيخًا، وطفلاً رضيعًا.

وفي المرات التي تقاعس فيها الشعب لأسباب متعلقة بالكسب المادي أو انصراف بعض المسئولين عن تنفيذ أوامر

الرب كانت مشيئة الرب عليهم أن ينهزموا؛ لأنهم فرطوا في أوامر الرب، ولكي يعيدوا الأمور إلى نصابها لا بد أن يأخذوا الدرس والعبرة فلا يفرطوا في أوامر الرب أبدًا.

ولذلك هم الآن يرفعون شعار أن معارك الرب يديرها الرب بنفسه من أعلى، ولا بد أن يتحقق النصر فيها لشعبه المختار، وأمريكا عندما تحلت بروح التوراة وسارت على هديها في التعامل مع الهنود الحمر انتصرت وأبادتهم واغتصب أرضهم، وكذلك تُلقن إسرائيل الدرس أنها لا بد أن تتمسك بتعاليم التوراة لكي تنتصر على العرب كما انتصرت أمريكا على الهنود الحمر.

ولكي تأخذ أرض العرب كما أخذت أمريكا من الهنود الحمر أرضها، ولكي تطرد العرب من أرضهم وتقتلهم وتقتل نساءهم كما قتلت أمريكا الهنود الحمر وسبت نساءهم وجعلتهم عبيدًا لهم في المزارع والمصانع.

هكذا نرى الواقع يشير ويؤكد أن العقيدة الدينية أن الأصولية الصليبية قد أصبحت من أهم العوامل المؤثرة في سياسة البيت الأبيض الأمريكي عبر "جيمي كارتر" و"رونالد ريجان" و"جورج بوش" الأب و"جورج بوش" الابن، هذه أمور أصبحت من الوضوح والبيان بحيث لا نحتاج معها إلى أدلة،

وكـل وقائع التاريخ المعاصر، وكل تصريحات الرؤساء السابقين والحاليين تؤكد لنا أنهم يتعاملون مع المنطقة من منطلق إيمانهم بهذه النبوءات، وليس أدل على ذلك من أن أحب الاستشهادات إلى قلوب الصليبيين الصهيونيين هو الاستشهاد الذي لا يملون من تكراره الموجود في سفر التكوين 12/2 و12/3 وهو الذي يعلن فيه الرب أن الله سيجعل إسرائيل أمة عظيمة يباركها، ويعظم اسمها، ويجعلها بركة، ويبارك مباركيها، ويلعن لاعنيها، وتتبارك فيها جميع قبائل الأرض. هذا النص أشبه بالدستور الديني الذي تعامل به "جيمي كارتر" و"ريجان" و"بوش" الأب و"بوش" الابن مع القضية الفلسطينية ومع شعب إسرائيل ومع الحركة الصهيونية العالمية، فلا نجد القضية الفلسطينية مطروحة في مجلس من مجالس الأمن أو الأمم المتحدة إلّا بمعاضدة من أمريكا ومن السياسة الأمريكية والبيت الأبيض، لدرجة أن البيت الأبيض قد استخدم حق الفيتو -حق النقض- 87 مرة ضد فلسطين، ولم يستعمله مرة واحدة ضد إسرائيل، ولذلك نجد أن سيطرة الفكر الصهيوني والحركة الصهيونية على البيت الأبيض وعلى القرار السياسي في البيت الأبيض لا تحتاج إلى دليل أكثر من النظر إلى الواقع الذي يؤكد ما قلناه، ويؤكد اعتصام البيت الأبيض بالنبوءات الواردة في التوراة ضد المسلمين والعرب ولصالح إسرائيل وصالح شعب الله المختار.

ولعلكم تلاحظون معي، على سبيل التمثيل بأمثلة واقعية عندما يفجر فلسطيني نفسه دفاعًا عن أرضه وعرضه ووطنه وحريته يسمى إرهابيًا، تقوم الدنيا ولا تقعد بواسطة الإعلام الأمريكي ضد هذا الشخص الفلسطيني، ولكن عندما تغتال الحكومة الإسرائيلية شعبًا بأكمله وأرضًا بكاملها ووطنًا بكامله يسميه "بوش" الابن دفاعًا عن النفس، هل رأيتم إرهابًا أكثر من هذا؟ يسميه دفاعًا مشروعًا عن النفس، وحين يزداد الصلف الإسرائيلي والغارات الوحشية على الفلسطينيين أقصى ما تفعله أمريكا هي أن تناشد الفلسطينيين بهدوء النفس وضبط النفس، تناشد الفلسطينيين ولا تناشد إسرائيل، وطبعًا المقصود بضبط النفس هنا ألّا يدفعهم الاعتداء الوحشي إلى المقاومة وإنما يستسلموا، هل رأيتم إرهابًا أكبر من هذا؟ يلومون الحَمَل ولا يلومون الذئب، يلومون الفريسة ولا يلومون المفترس. هذه هي السياسة الصهيونية ضد العرب وضد فلسطين.

* * *

اهتمام الحركة الصليبية الصهيونية
بمستقبل إسرائيل

وعندما غزا الجيش الإسرائيلي لبنان وقف الصهيوني الصليبي "جيري فلويل" يدافع عن هذا الغزو، ويعلن أن الأرض التي وعد الله بها إسرائيل تمتد من النيل إلى الفرات، ففي 6 فبراير سنة 1983 صرح هذا الرجل لصحيفة "كورير تايمز تليجراف" التي تصدر في ولاية تكساس بأنه يؤيد أخذ الإسرائيليين للأراضي العربية من العراق، وسوريا، وتركيا، والسعودية، ومصر، والسودان، وكل لبنان، والأردن، والكويت، أما فلسطين كل فلسطين التى كانت تحت السيطرة الإسرائيلية أساسا فهذه مسألة منتهية؛ لأنها كلها ملك لليهود أصلاً وهي التي أبرم الله وعده مع أنبياء بني إسرائيل أنها ملك لإسرائيل ولأبنائه من بعده، أرأيتم هذه الأساطير؟ وكان هذا مناسبة تظهر فيها ثنائية الموقف الصليبي الصهيوني في أمريكا، وربما في أنحاء العالم؛ لأن الصليبية الصهيونية في أمريكا كانت تراوغ أحياناً وتدعي أنها لا تناصر إسرائيل، ولكن بعد هذه

التصريحات أصبح الموقف الأصولي الصليبي واضحًا لا يحتاج إلى مراوغة[1].

ومن هنا وجدنا التناقضات في الموقف الصليبي الصهيوني.

فبعد أن كان هدفهم هو تبشير اليهود بالمسيحية تنازلوا عن رسالة التبشير وأخذوا يعاضدون الأهداف الصهيونية لتحقيق حُلم إسرائيل.

وبعد أن كان هدفهم نشر تعاليم المسيح بين غير المسيحيين أخذوا يروجون لما يسمى بالألفية الثالثة التي تقع فيها معركة "هرمجدون" أو المعركة الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر.

وبعد أن كانوا يعتقدون أن اليهود هم قتلة المسيح انقلبت الآية وأخذ الصليبي الصهيوني يضع اليهود في المرتبة الأولى ثم المسيحي الأصولي في المرتبة الثانية، بعد أن كانوا يعتبرون الشعب اليهودي ملعون ومطرود من رحمة الله؛ لأنه قتل المسيح.

---

(1) الخليفة التوراتية، ص71.

بعد أن كان العرب يمثلون فئة من فئات البشر عند الصليبية الصهيونية بدأ الأصولي الصهيوني والأصولي الصليبي يعتقد أن العرب من قوى الشر وليست من قوى الخير، ونسي أن العرب فيهم المسلم وفيهم اليهودي وفيهم المسيحي، إلى هذا الحد طغت قضية التعصب للفكر الصهيوني على الأصولية الصليبية فأعمتها عن الحقائق التاريخية تمامًا، وقلبت الموازين وأخذت تتسنم ذرى الإعلام الأمريكي لترويج لدعاياتها ضد العرب وضد المسلمين وضد القضية الفلسطينية عمومًا.

المؤتمر الصليبي الصهيوني (إبريل 1988):

(1)

لا أريد أن أترك هذه القضايا دون أن أضع أمامكم بعض الوثائق التاريخية التي تؤكد ما نقول؛ حتى لا يكون كلامنا مرسلاً بدون دليل تاريخي، لكي نوضح لكم قوة هذه الصلة وأثرها في السياسة الأمريكية وفي موقف الصليبية الصهيونية عمومًا أذكر لكم إعلانًا قام به أعضاء السفارة الصليبية الدولية في القدس، سوف أورد فقط فقرات من هذا الإعلان؛ لأنه إعلان طويل جدًا، لكن فقط سوف أضع أمام حضراتكم بعض الفقرات

التـــي تبـــين مـــدى الصلة وقوة هذه الصلة، بل اهتمام الحركة الـــصليبية الـــصهيونية بمـــستقبل إسرائيل ومستقبل الصهيونية اليهودية العالمية في العالم.

ممـــا جـــاء فـــي هـــذا الإعلان: "نحن الممثلون للمؤتمر المـــسيحي الـــصهيوني الدولي الثاني المنعقد في القدس العاصمة الأبديـــة لإســـرائيل -هكـــذا العاصـــمة الأبدية لإسرائيل كأنهم معتـــرفون بإســـرائيل ومعترفون بأن القدس هي العاصمة الأبدية لإســـرائيل، ومعنـــى هذا أن قوانين الأمم المتحدة وقوانين مجلس الأمـــن ضـــربوا بها عرض الحائط- العاصمة الأبدية لإسرائيل نعلن في 14 إبريل 1988 في مناسبة الذكرى الأربعين لاستقلال إســـرائيل - لأن إســـرائيل كـــان ميلادها سنة 1948 بعد انتهاء الحـــرب العالمـــية الثانية، وعقد هذا المؤتمر 1988 فتكون الفترة الـــزمنية هـــي أربعون عامًا- ننتهز هذه الفرصة لنعلن سيادة الله وعـــصمة كلمـــته المقدســـة بأن خطته للفداء سوف تقيم السلام والبركات في النهاية في الشرق الأوسط ولكل البشرية من خلال وعـــوده الميثاقية الأزلية لإسرائيل، إن المسيحية الصهيونية هي صـــهيونية كتابـــية تـــؤمن بالكتاب المقدس، وتعلن تحقق أهدافه النبونـــية والتـــي تـــتجمع في عودة المسيح إلى القدس. هذه هي النـــبوءة التـــي يدورون حولها؛ لهذا نحن نفهم من الكتاب أن الله أحب شعبه.

وقد أعطاهم الحق في تحمل المسئولية.

وأعطاهم الحق في امتلاك وبناء الأرض الموعودة.

وأعطـــاهم الحـــق فـــي أن يحكموا المسكونة -المسكونة يعنـــي: العـــالم- وبالتالي من خلال كلمته "لهذا نحن نعلن حبنا لإسرائيل والشعب اليهودي".

من الذي يعلن هذا؟ هم الصليبيون المتصهينون.

وأيـــن أعلـــنوها؟ فـــي السفارة الصهيونية الصليبية في القدس.

ومتـــى أعلنوها؟ في مناسبة الاحتفال بمرور أربعين عامًا علـــى قـــيام دولة إسرائيل- ونعلن تأكيدنا للحق الكتابي للشعب الـــيهودي كـــي يعـــيش بحرية في كامل أرض إسرائيل، والتي تـــشمل يهوذا، والسامرة، وغزة كدولة يهودية، ونعلن تشجيعنا لعـــودة كل اليهود من الشتات إلى الأرض كاستجابة لدعوة الله القـــوية والمحـــبة لشعب إسرائيل، والتي عبر عنها أنبياؤه، إننا ندعـــو كـــل الدول كي تعترف وتحترم قداسة وعد الله للشعب الـــيهودي -أقـــرأ هـــذه العبارة مرة ثانية: إننا ندعو كل الدول العالمـــية كي تعترف وتحترم قداسة وعد الله للشعب اليهودي- بإعطـــائهم أرض كـــنعان كملكية نهائية، وفي نفس الوقت كي

يؤمنوا بوعوده الخاصة بكل ذرية إبراهيم -والغريب أنهم نسوا أن العرب من ذرية إبراهيم- نحن نتحدى الكنيسة كي تتوب عن كل معاداة للسامية في الماضي والحاضر، وعن أي عقائد تجاهلت أو بدلت الحقيقة الكتابية لوجود إسرائيل، وعن أي خطايا بالتعهد أو إسقاط العهد ضد الشعب اليهودي - التوبة المذكورة هنا هي توبة الكنيسة عن اتهامها لليهود بقتل من؟ بقتل السيد المسيح - وترتب على هذا إعلان البابا يوحنا الثاني الذي انتقل إلى العالم الآخر منذ فترة قليلة إعلانه تبرئة اليهود من دم المسيح. هذه هي التوبة التي تطلبها الصليبية الصهيونية من الكنيسة، أن تتوب عن كل معاداة للسامية في الماضي أو الحاضر ونحن ندعو الكنيسة إلى -ما زال الإعلان قائمًا- إلى أن تصوم وتصلي باجتهاد من أجل سلام أورشليم القدس، وندعو الكنيسة أن تتوسط من أجل إسرائيل ومن أجل سكانها ومن أجل كل اليهود في كل مكان، وندعو الكنيسة أن تعبّر عن الحب والدعم لإسرائيل وللشعب اليهودي في الفكر والكلمة والعمل حسب التوجيهات الذي أعطاها الرب.

هذه النصوص اقتبسها الإعلان من سفر أشعياء 58، 62. هذا الإعلان تبنته السفارة الصليبية في القدس -كما قلنا سنة 1988- كتعبير عن الموقف التاريخي والموقف النهائي

والكنسي من إسرائيل، ومن احتلالها للأرض، ومن طردهم للشعب الفلسطيني، ومن اغتصاب تاريخ فلسطين من المنطقة، ومن موقفهم من المسلمين بصفة عامة.

هذه نصوص وغيرها كثير تفسر لنا هذا التعاطف، وهذا التضافر والتعاون التاريخي بين الحركة الصهيونية اليهودية والصهيونية الصليبية قد أضفى على القضية الفلسطينية نوعًا من الغشاوة أو الضباب، وعدم وضوح الرؤية في نظر الساسة الغربيين وبعض المثقفين الغربيين، ولم يروا القضية على حقيقتها، وإنما رأوها من واقع الإعلام الصهيوني الذي تعاونت كل مؤسساته في كل دول أوربا بلا استثناء على التعاطف مع القضية الصهيونية ضد القضية العربية والقضية الفلسطينية، واستطاعت الصهيونية العالمية بوسائل إعلامها المختلفة أن تهيئ العقلية الغربية بقبول فكرة دولة إسرائيل على أرض الميعاد وهي أرض فلسطين التاريخية.

وتضافرت جهود مؤسسي هذه الحركة مع رجال المال والصحافة والإعلام وقادة الرأي السياسي كي تنجح هذه الفكرة، واستطاعت بمضي الزمن أن تحوّل حلم الحركة الصهيونية العالمية إلى واقع، واقع يقف ضد حركة التاريخ. وقف العرب

والمسلمون ضده، ولكن العالم الغربي تعامل مع القضية للأسف الشديد بمنطق القوة وليس بقوة المنطق، فاستطاعت أجهزة الإعلام أن تثبت هذه الأكاذيب في العقلية والذهنية الغربية بصفة عامة، بعد أن تبنتها السياسة الأمريكية، وانطلاقًا من هذا التآزر الغربي الأوربي الأمريكي مع الحركة الصهيونية اليهودية بواسطة الصهيونية الصليبية وضعوا العرب والمسلمين في مآزق كثيرة، وأوقفوا عجلة النمو والتطور في المنطقة العربية كلها بل في العالم الإسلامي كله، وزرعوا دولة إسرائيل في المنطقة العربية أشبه بالزرع غير الطبيعي، نمو غير طبيعي، دولة يهودية دينية عنصرية صليبية مائة في المائة تطرد شعبًا بأكمله فتفصل بين شرق العالم الإسلامي وغربه وبين شماله وجنوبه، وتقف كحجر عثرة ضد النمو الاقتصادي والثقافي والاجتماعي لهذه المنطقة.

(2)

ترتب على ذلك أن كل الاقتصاد العربي توقف عن النمو وأصبح موجهًا لمواجهة إسرائيل في الحروب التي بدأت من سنة 1948 إلى الآن، وإسرائيل وراءها أمريكا وأوربا، والعرب

لا سند لهم إلّا الله. تَحكّم اليهود في الدعاية العالمية، وفي المقابل لم يكن للعرب ولا للمسلمين أي جهاز دعائي في الغرب ولا في أمريكا.

وترتب على هذا أن الباطل الذي تدعو إليه الحركة الصهيونية أصبح حقًا في نظر أوربا وأمريكا، وأن الحق التاريخي الذي يدعو إليه العرب وفلسطين والمسلمون أصبح باطلاً؛ لأنهم لا يملكون وسائل الإعلان ولا وسائل الدعاية العالمية التي تمتلكها الحركة الصهيونية.

ومن جانب آخر أصبح التحكم في اتخاذ القرار في بلدان العالم الإسلامي محكوما بالفيتو الأمريكي في مجلس الأمن، فأي قرار يتخذه العرب ويطرحوه على مجلس الأمن لصالح القضية الفلسطينية تبطله أمريكا بحق الفيتو.

هذه المواقف المتصلبة من أمريكا ضد العرب وضد فلسطين أنهكت الاقتصاد العربي والاقتصاد والإسلامي فوقفت عجلة النمو تمامًا، وبالتالي ظهرت مشكلات اجتماعية واقتصادية في العالم العربي نتيجة توقف عجلة الاقتصاد وعجلة النمو الاقتصادي، في الوقت الذي تقف فيه أمريكا باقتصادها كله ودول أوربا باقتصادها وراء الحركة الصهيونية ووراء إسرائيل.

ومـــن جانب آخر أخذت الحركة الصهيونية تخترق كثيرًا من البلاد العربية والإسلامية بأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة عـــن طريق القنوات الفضائية، فاغتالت القيم الأخلاقية في نفوس الـــشباب، وحطمت كل معنى نبيل في عقول الشباب عن طريق الجاسوسية والصحافة والأندية والبث المباشر.

تـــرتب أيضًا على هذا الموقف أن كثيرين من أبناء الشعب الفلـــسطيني أُكرهوا على ترك أرضهم وديارهم إلى أرض أقاموا فيها لاجئين؛ ولهذه اللحظة لم يستطع العالم أن يحل هذه المشكلة، ونجد أن نفس الحركة الصهيونية الآن تبذل كل جهد للقضاء على كـــل محاولـــة للتقدم في العالم العربي، فضربت المفاعل النووي العراقـــي فـــي فتـــرة حـــروبها مع إيران، وعارضت كثيرًا من صـــفقات الأسلحة التي تباع للدول العربية من قبل الغرب لتظل للحـــركة الـــصهيونية التفوق العسكري على جميع البلاد العربية المحيطة بها، مع أن العرب منذ عام 1973 بادروا بعملية السلام وأخـــذوا يمدون أيدهم للحركة الصهيونية بالسلام، ولكن كالعادة اليهودية ليس لليهود وعد ولا عهد ولا ذمة.

ترتب على هذا أيضًا أن الحركة الصهيونية أصبحت لها دولة واقعية على الخريطة الجغرافية للعالم، واعترف بها جميع

الـــبلاد الأوربية وأمريكا طبعًا، وأصبحت الدول العربية تحاول أن تقتنص بعض الحقوق المشروعة من هذه الدولة، تقف أمامها أمـــريكا ســـدًا منيعًا بحق الفيتو أحيانًا، وبالمراوغات السياسية أحيانا أخرى.

ولـــم تنـــته هـــذه الحـــركة إلى الآن، بل نجحت في أنها صـــاغت ما يمكن أن يسمى بالحكومة الواحدة أو الحكومة التي تـــصدر قرارًا واحدًا تحكم به العالم من شرقه إلى غربه، فالذي يـــتأمل الواقـــع المعاصر لنا الآن يجد أن القرار الصهيوني أو القـــرار الأمريكـــي هو الذي يحكم حركة العالم من شماله إلى جـــنوبه ومـــن شـــرقه إلى غربه، وبذلك تحقق أمر لم يكن في الحـــسبان وهـــو إقامة الحكومة الواحدة التي تحكم العالم بقرار واحد مصدره النفوذ الصهيوني في أمريكا.

هـــذه بعـــض المسائل التي أردت أن أضعها أمامكم لكي نتبـــين موقع أقدام الشباب من الواقع التاريخي الذي نعيشه؛ لأن الإعـــلام المرئـــي والإعلام المسموع يكون في جانب، وحقائق الأمور والوقائع التاريخية في جانب آخر.

الفصل السادس

استراتيجية إسرائيل للتعامل مع العالم العربي بعد حرب 1973 م

توقفنا في لقاء سابق بالحديث عن الحركة الصهيونية، وأنها حاولت أن تسيطر على الإعلام العالمي، وقلبت حق العرب في نظر العالم باطلاً وجعلت باطلها في نظر العالم حقًا، والواقع الذي نعيشه الآن يملي علينا أن نطرح على حضراتكم الإستراتيجية الإسرائيلية التي وضعتها -كخطة طويلة الأجل- للتعامل مع العرب ومع القضية الفلسطينية؛ لأن الواقع أن مصر قد عقدت معاهدة صلح مع إسرائيل، وبدأ العالم العربي بفعل الضغط الأمريكي أن يتسابق في عقد معاهدات صلح مع إسرائيل، وكم نتمنى أن يسود السلام في العالم، وأن يسود السلام بين العرب وإسرائيل، لكن أن يكون سلامًا عادلاً، وليس على حساب الشعوب، وليس على حساب الحق والتاريخ.

توقفت المدافع والصواريخ لكن الخطط والإستراتيجيات التي وضعتها إسرائيل للتعامل مع المنطقة تؤكد لنا أن إسرائيل ليست على العهد الذي أبرمته مع العالم العربي أو مع مصر بالذات، وإنما وضعت هناك خططا للتعامل مع مصر ومع

الدول المجاورة تحت شعار أن كل موضع تدوسه بطون أقدامكم هو لكم أعطاه الرب.

هذا الشعار يدين به كل جندي صهيوني يحمل السلاح في أرض إسرائيل، أكرر لكم هذه العبارة مرة ثانية: هذا نص موجود في الكتاب المقدس: "كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطاه الرب، أو لكم أعطيت".

ولذلك نجد أن بعض القادة الإسرائيليين بعد نهاية كل معركة تاريخية مع العرب يقولون في مؤتمراتهم: "إن هدف هذه الحرب هو الإعداد للحرب القادمة" وقد أعلن ذلك صراحة البروفيسور "ليبيوتيز" في مؤتمره الصحفي في 14 يونيه عام 1982. يعني: بعد معاهدة الصلح مع مصر بحوالي تسع سنوات، أعلن في القدس أن هدف هذه الحرب هو الإعداد للحرب القادمة، وأعلنوا هذا شعار للتعامل التاريخي "كل موضع تدوسه بطون أقدامكم هو لكم أعطاه الرب".

لأن هذا هو مفهوم إسرائيل الكبرى وهذا هو الهدف الثابت والدائم للحركة الصهيونية السياسية التي بشر بها "هرتزل" في عام 1897، وهذا الهدف قد أعلنه الرئيس أو الجنرال الاحتياطي "جازيت" رئيس جامعة "بنجوريون" في بئر

سبع، وهو يذكر طلابه والحاضرين معه بالأهداف الجوهرية للحركة الصهيونية فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي العربي، حيث قال:

"يجب أن تكون أرض إسرائيل يومًا ما بكاملها تحت السيطرة الإسرائيلية بل وأكثر من ذلك يجب أن تكون مندمجة في دولة يهودية، وعلى إسرائيل أن تعترف بالضرورة الملحة لإيجاد حل راديكالي لمشكلة الوجود العربي على الأرض التاريخية لإسرائيل".

هذا ما أعلنه "جازيت" رئيس جامعة بنجوريون في صحيفة "يديعوت أحرنوت" في عددها الخامس عشر في يناير عام 1982 وأكد في هذا التصريح أن طرد العرب من فلسطين داخليًا، والعمل على تمزيق البلاد العربية خارجيًا ينبغي أن يكون هذا وذاك جناحا للمشروع الصهيوني للمرحلة القادمة.

تأملوا هذه العبارة؛ لأنها تمثل جوهر الإستراتيجية الصهيونية أو الهدف الأساسي للمشروع الصهيوني في المرحلة التي أسموها بالحرب الباردة، نحن نسميها في عالمنا العربي مرحلة سلام؛ وبدأ البعض يتكلم عن ثقافة السلام ومشروع السلام العربي الإسرائيلي لكن هم يسمونها عندهم: مرحلة الحرب الباردة. إن جناحي هذا المشروع الصهيوني هو:

طرد الفلسطينيين الذين هم داخل إسرائيل وهم ما يسمون بعرب 48 من أرض إسرائيل.

والجناح الثاني: هو تفكيك المنطقة العربية إلى ما يشبه بالفسيفساء، قطع صغيرة على الخريطة الجغرافية للعالم وهو ما يجري تنفيذه الآن على أرض الواقع بواسطة الوجود الأمريكي بالمنطقة، يجري هذا في العراق، السودان، والفتن الطائفية تجري في المنطقة العربية كلها تمهيدًا لتنفيذ المشروع بأكمله .

وقد نشر جازيت مقاله في مجلة (كيفونيم) الذي نشره التنظيم الصهيوني العالمي بالقدس في عدد 14 فبراير عام 1982، لمّح هذا الجنرال -وهو جازيت- رئيس جامعة "بنجوريون" لمح في هذا المشروع إلى نقاط على جانب كبير من الأهمية، سوف أطرحها على حضراتكم لأنها تنفذ الآن يومًا بعد يوم على أرض الواقع. يعرض إستراتيجية إسرائيل في المرحلة القادمة، وهذه الإستراتيجية -أيها الإخوة- أتمنى أن يقرأها العالم، وأن يقرأها كل شباب يريد أن يعرف حقيقة المنطقة وما يجري فيها بين إسرائيل والعرب لأنها تعرّي الكيان الصهيوني وتعرّي السياسة الإسرائيلية وتعرّي وتكشف عن زيف وتضليل الإعلانات التي يعلنها ساسة إسرائيل عن أنهم يريدون السلام مع العرب ومع فلسطين.

وفي هذه المقالة عرضت الخطوط العريضة للإستراتيجية الصهيونية للتعامل مع العرب وجاء فيها:

إن أحد الأهداف الرئيسية للاتحاد السوفيتي هو أن يلحق الهزيمة بالغرب -كانت هذه الوثيقة سنة 1982- وذلك بأن يملك التحكم في الموارد الهائلة للبترول في الخليج الفارسي وفي جنوب أفريقيا، حيث تركزت أغلبية الموارد العالمية، ونحن نستطيع تصور أبعاد هذه المواجهة على مستوى البسيطة وهي المواجهة التي سوف نعيشها في المستقبل، روسيا كانت -حسب ما يتصورون- تريد السيطرة على موارد النفط في الخليج العربي فلا بد من العمل على حرمانها من الحصول على هذا الهدف، وقد وقع فعلاً، فعملوا على تفكيك الاتحاد السوفيتي، ووقعت حرب الخليج الأولى والثانية، ثم تم لهم السيطرة الكاملة على مواقع النفط وآبار النفط في الخليج العربي، وقد يصل المشروع الصهيوني إلى نتائجه بعد أن تم لأمريكا تمامًا وضع يدها على العراق، وبالتالي على مواضع أو آبار النفط في منطقة الخليج، وهذا كان يمثل الهدف الأول في إستراتيجية الحركة الصهيونية في المنطقة في مرحلة ما بعد حرب 1973 أو ما يسمى بالحرب الباردة، هذا بالنسبة إلى موقفهم من الاتحاد السوفيتي.

1- مصر:

نأتي إلى موقفهم من العالم العربي؛ من المعلوم أن مصر قد استعادت سيناء لكن هذا الموقف لم يرضِ الحركة الصهيونية فكـــان لا بد من العمل على استعادتها مرة ثانية ولذلك جاء في هذه الوثيقة ما يلي:

"إن اســـتعادة أرض ســـيناء بمـــواردها الراهنة هدف ذو أولوية، تحول دون الوصول إليه حتى الآن اتفاقية "كامب ديفيد" واتفاقـــيات السلام، وبذلك حرمنا من البترول ومن الموارد التي تـــصدر عنه وتحملنا نفقات باهظة في هذا المجال، ويجب علينا أن نعمـــل حتـــى نستعيد الوضع الذي كان في سيناء قبل زيارة أنور السادات للقدس والاتفاق التعيس الموقع عليه عام 1979".

البـــند الثاني في هذه الإستراتيجية الإسرائيلية، هو موقفها من مصر، فقد نصت الوثيقة على ما يلي: إن الحالة الاقتصادية في مصر وطبيعة نظامها وسياستها القومية العربية سوف تسفر عـــن موقـــف يفـــرض على إسرائيل أن تتدخل، ومصر بفعل صـــراعاتها الداخلـــية لـــم تعـــد تمـــثل بالنسبة إلينا أية مشكلة إســـتراتيجية، ولـــسوف يكون من اليسير أن نردها إلى الوضع الذي عاشته والذي كانت عليه عقب حرب يونيه 1967 في أقل من 24 ساعة".

يعنـــي: يريدون أو يشيرون إلى ضرورة الاستيلاء على ســـيناء والوصول إلى قناة السويس مرة ثانية إذا لزم الأمر في أقـــل من 24 ساعة، ثم يبررون ذلك بأن الأسطورة القائلة بأن مـــصر هي زعيمة العالم العربي قد فقدت هذه الأسطورة قيمتها فـــي مواجهة إسرائيل خاصة بعد هزيمة 67، وربما استطاعت أن تفـــيد علـــى المدى القصير من استعادة سيناء ولكن ذلك لن يغيـــر تغييـــرًا عميقًا علاقة القوة بمصر. فمصر من حيث هي جـــسد مركزي قد صارت جثة هامدة، ولا سيما إذا ما أخذنا في الاعتـــبار المواجهة التي تتزايد قسوتها بين المسلمين والأقباط، إن انقـــسامها إلـــى أقاليم جغرافية منفصلة يجب أن يكون هدفنا السياسي خلال التسعينات، وخلال الألفية الثالثة.

انقـــسام مـــصر إلـــى إقليمين: جنوب وشمال، أو ديانتين مسلمين وأقباط، ولا يخفى على حضراتكم أن كل حركة تتصل بالفتـــنة الطائفية تقع في المنطقة العربية -عمومًا ولا أقول في مصر فقط- عليك أن تبحث عن أصابع الصهيونية وراءها.

ثم تكمل الوثيقة بما يلي: فإذا ما تصدعت مصر على هذا الـــنحو وحـــرمت من أي سلطة مركزية في العالم العربي فإن بـــلادًا أخرى مثل ليبيا والسودان، وما هو أبعد منهما كالجزائر

وتـونس والمغـرب سوف تواجه نفس الانفصال، فإنشاء دولة قبطـية فـي صعيد مصر، وإنشاء دويلات أخرى إقليمية ذات أهمـية ضـعيفة هو مفتاح التطور التاريخي الذي أرجأه حاليًا اتفاقـية السلام في "كامب ديفيد" لكن ينبغي أن نعلم أن هذا أمر محتوم لا بد منه على المدى الطويل.

2- لبنان :

ثم ماذا؟ إذا انتقلنا إلى موقف الوثيقة من لبنان، ماذا تقول هذه الوثيقة؟

تقـول: إن تقسيم لبنان إلى خمسة أقاليم تعطينا -مقدمًا- صـورة واقعـية عما سوف يحدث في مجموع العالم العربي، فتفجيـر سـوريا والعراق إلى أقاليم محدودة على أساس مقياس عرقي أو ديني يجب أن يكون هدفًا أساسيًا على المدى الطويل، وأن يكون هدفًا ذا أولوية بالنسبة لنا. والمرحلة الأولى التي لابد أن نبدأ بها هي تدمير القوة العسكرية لدى هذه الدول.

3- سوريا :

ثم ماذا بالنسبة لسوريا؟

تقـول الوثيقة إن البنية العرقية لسوريا تعرضها لتفكك قد ينتهـي بهـا إلى إنشاء دولة شيعية على طول الشاطئ، ودولة

سنية في منطقة حلب، ودولة أخرى في دمشق، ثم وحدة درزية يمكـن أن تطمح إلى إنشاء دولة لها ربما على أرض الجولان وهـي تـتكامل فـي كل حال مع شمال الأردن، إن دولة كهذه سوف تكون على المدى الطويل ضمانًا لسلام إسرائيل، وضمانًا للأمـن في المنطقة، وهي هدف مقرر في موضع اهتمامنا. هذا بالنسبة لسوريا.

4- العراق

ماذا بالنسبة للعراق؟

تقـول الوثيقة: أما العراق الغني بالبترول، وبالصراعات الداخلـية العـرقية والطائفـية والدينـية فهو على خط التسديد الإسـرائيلي -كلمة التسديد أكثر من كلمة المواجهة، يعني: هو أمـام أعيننا لا يغيب عنا- فتفكيكه بالنسبة إلينا أعظم أهمية من تفكيك سوريا، لماذا؟ لأنه يمثل على المدى القصير أعظم تهديد بالنسبة إلى إسرائيل، ولذلك إن حربًا سورية عراقية سوف تفيد فـي تذويـبه من الداخل قبل أن يكون، بحيث يندفع في صراع واسع ضدنا.

إن كـل شـكل من أشكال المواجهة بين العرب بعضهم وبعـض هـو يفيدنا كثيرًا، وهو يعجل بساعة التفجير، وبساعة

الانتصار الأخير، ولقد تؤدي هذه الحروب الداخلية بين البلدان العربية بعضها وبعض، أو بينها وضد إيران إلى التعجيل بهذه الظاهرة المعبرة عن الاستقطاب وعن الانتصار الأخير لحركتنا الصهيونية والاستيلاء على أرض الميعاد.

لاحظوا معي أن الوثيقة تناولت البلاد العربية بلدًا بلدًا، أريد -أيها الإخوة- أن تطلعوا على هذه الوثيقة وأن تجعلوها أمام أعينكم لأنها تفسر لنا الآن ما يجري في الواقع العربي بالنسبة لإسرائيل وما تفعله أمريكا أو ما تفعله إسرائيل بالسلاح الأمريكي وبالجند الأمريكي على الأرض العربية.

5- الجزيرة العربية :

ماذا تقول الوثيقة بالنسبة للجزيرة العربية؟ تقول الوثيقة: أما شبه الجزيرة العربية فهي مهيأة بأكملها لتحلل من هذا النوع، بفعل الضغوط الداخلية، وتلك هي بخاصة حال المملكة العربية السعودية، فإن تعاظم الصراعات الداخلية، وسقوط النظام هما جزء من منطق البنيات السياسية الراهنة، وقد تتيح لنا الحركة الداخلية في شبه الجزيرة العربية بين سكان الولايات أو الإمارات بعضهم ببعض قد يؤجل لنا التدخل المباشر؛ لأنها قد يقضي بعضها على بعض، هذا بالنسبة للجزيرة العربية.

6- الأردن :

أما الأردن: فهو هدف إستراتيجي عاجل، وهو على المدى الطويل لن يكون بوسعه أن يشكل تهديدًا لنا، ولا بأس أن نرجئ موقفنا منه إلى نهاية الطريق، لأن في النهاية قد نجده قد تحلل عرقيًا، فنهاية الملك حسين ونهاية الذرية الحسينية ونقل السلطة إلى أيدي الأغلبية الفلسطينية الموجودة في الأردن قضية تاريخية، إذا لم تتحقق الآن فإن التاريخ سوف يعجل بها في المستقبل، وينبغي أن تتوجه إلى ذلك سياستنا الإسرائيلية، تتوجه إلى محاولة نقل السلطة من الأسرة الحسينية إلى الأغلبية الفلسطينية الموجودة في الأردن. وهذا التغيير يعني: حل مشكلة الضفة الغربية ذات الكثافة السكانية العربية، وبالتالي سوف يحل لنا مشكلة عرب 48 القابعين في أرض إسرائيل.

إن تهجير هؤلاء العرب إلى الشرق في ظروف سلام أو على أثر حروب وتجميد نموهم الاقتصادي والسكاني فيه ضمان لنا، ويجب أن نعمل كل ما في وسعنا لتعجيل هذه العملية، يجب أن نرفض خطة الاستقلال الذاتي وأية خطة قد تستتبع تسوية سلمية في المنطقة، أو اشتراكًا في الأراضي مع فلسطين أو تضع عقبة في طريق انفصال الأمتين، وهي شروط لازمة لتعايش سلمي حقيقي.

هـذه - أيهـا الإخـوة- بعض الفقرات المتعلقة بالبلاد العربية التي يمكن أن نسميها بلاد الطوق المحيطة بإسرائيل كما تـرون تناولتها الوثيقة بلدًا بلدًا، وفصلت القول فيما ينبغي على إسرائيل أن تفعله مع هذه البلاد أو تلك، وقد بدأت فعلاً بالعراق، والموقـف العراقي يمهد لـه منذ أوائل التسعينات، ولعل حرب إيـران والعـراق كـان مقدمـة طبيعية لإنهاك القوتين لصالح إسرائيل، ولصالح الأهداف الصهيونية في المنطقة.

ثـم كـان التدخل والاحتلال الأخير للعراق بداية لمرحلة اسـتعمارية جديـدة بدأت بها الألفية الثالثة في المنطقة، ربما من وجهـة نظـرهم؛ تحقيقًا للنبوءات التي يدعونها، وربما لأهداف اقتـصادية وراء البتـرول الموجـود في المنطقة، وربما لصالح الحـركة الـصهيونية العالمية. على أية حال نحن نقرأ في الواقع أمامنا الآن تطبيقًا عمليًا لهذه الوثيقة التي وضعها "جازيت" رئيس جامعـة "بـنجوريون" والتـي تعتبر بمثابة ورقة عمل للسياسة الإسرائيلية في المنطقة الآن، أو إن شئتم الدقة: للسياسة الأمريكية التي تنفذ لصالح الحركة الصهيونية في إسرائيل وفي العالم.

ثم تختتم الوثيقة بقولها: إن على العرب الإسرائيليين الذين هـم أصلاً فلسطينيون أن يفهموا أنهم لن يكون لهم وطن إلا في

الأردن، وأنهم لن يعرفوا الأمن إلا إذا اعترفوا بالسيادة اليهودية بين البحر ونهر الأردن، فلم يعد ممكنًا إذن ونحن ندخل العصر الـنووي ونـتأهل لاستعماله أن نقبل أن يتجسد ويتكدس ثلاثة أربـاع الـشعب اليهودي على ساحل مكتظ ومعرض للخطر، ولابـد مـن توزيع هؤلاء السكان وأن يكون توزيعهم هدفًا في سياسـتنا الداخلـية، يوزعـوا علـى يهوذا والسامرة والجليل والجـولان وبقية أراضينا التي وعدنا بها الرب، والتي تمتد من النـيل إلـى الفـرات حتى يعاد توازن المنطقة على المستوى الـسكاني والإسـتراتيجي والاقتصادي، هذا هو مطمحنا الذي نـسعى إلـيه، والذي لا بد من تحقيقه إن لم يكن في جيلنا ففي الأجيال القادمة.

هـذه - أيهـا الإخوة- الوثيقة التي تنفذ الآن على أرض الواقع بندًا بندًا، وما يجري في العراق يعد لنظيره في بقية البلاد العربية.

ولعلكـم تلاحظـون معي أن أصابع الحركة الصهيونية تلعـب الآن في دارفور، وفي جنوب السودان، وتلعب الآن في لبنان، وما يجري في لبنان ليس ببعيد عن أعيننا، وتؤهل سوريا لدخولها على الخريطة الاهتمام الصهيوني. ولعلكم تلاحظون أن

الحركة قد بدأت تمدّ يدها إلى بعض البلدان الهادئة نسبيًا لتحرك ما فيها من مياهٍ راكدة.

العقيدة الدينية للحركة الصهيونية:

يبقى أمامنا نقطتان مهمتان أود أن أضعهما أمام حضراتكم:

النقطة الأولى: تتعلق بالنصوص المقدسة التي يؤمن بها هؤلاء والتي تجسد العقيدة الدينية للحركة الصهيونية في تعاملها مع العرب ومع غيرهم عمومًا.

أما النقطة الثانية: فتتعلق بطرح سؤال: ما العمل؟ كيف يواجه العرب والمسلمون هذه الهجمة الصهيونية الشرسة على الإسلام وعلى المسلمين وعلى أرض فلسطين عمومًا؟

أما بالنسبة للنقطة الأولى التي تتعلق بالنصوص المقدسة فسوف أقتصر فيها على الجانب الذي يتعلق بأخلاقيات الحركة الصهيونية، الأخلاقيات التي تمثل العقيدة السلوكية في تعاملهم مع الغير، وتعاملهم مع الله، أما العقيدة الدينية التي تمثل علاقتهم بالله واليوم الآخر وما إلى ذلك فربما لا نحتاج إليها في مثل هذا المقام، ولذلك سوف أركز على أخلاقيات الحرب عند اليهود والحركة الصهيونية وأخلاقيات التعامل بين الصهيوني أو

اليهودي وغيره، وهذه النصوص موجودة في الأسفار في العهد القديم وقد مثلت ما يشبه بالمتن في التلمود ويتعبد بها أبناء صهيون إلى الآن.

(1)

أما بالنسبة لآداب أو أخلاقيات الجهاد أو الحرب ليس عندهم مصطلح جهاد وإنما عندهم حرب، فيبدأون من مسلّمات، هذه المسلّمات هي أن الرب أمرهم بالدفاع عن الأرض المقدسة وكان شعارهم -كما قلنا "أن كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم لا يقف إنسان في وجهكم".

معنى هذا: أن النص المقدس رسم لهم خريطة الأرض التي لا بد أن يستولوا عليها ويجعلوها أرض ميعاد لهم، هذا النص موجود في سفر التثنية 11: 24.

ثم أمرهم موسى بتحقيق ذلك، حيث جاء في الأسفار ما يلي: "كفاكم قعودا في هذا الجبل، تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين، وكل ما يليه من الأرض العربية، والجبل، والسهل والجنوب وساحل البحر وأرض الكنعانيين ولبنان إلى النهر

الكبير -نهر الفرات- انظروا: قد جعلت أمامكم الأرض ادخلوا وتملكوا، تملكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم". هذا النص في سفر التثنية 1: 6. معنى هذا أن الحرب عقيدة صهيونية يهودية للاستيلاء على هذه الأرض.

أباحت لهم النصوص أيضًا إبادة كل حي وقطع كل أخضر وحرق كل يابس من أجل الاستيلاء على هذه الأرض، وكان ذلك كله يمثل عقيدة وأمرًا إلهيًا، فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح 12 ما يلي:

"أن الرب أمر يشوع بحرب وحرق مدينة عاي، ورسم له خطة الحرب، وكيفية إعداده لكمين قوي يقتل فيه الرجال والنساء، وقد استجاب يشوع لهذه التعاليم ثم الاستيلاء على الأرض وتقسيمها مع طرد السكان أو قتلهم وأسرهم" .

ورد في سفر العدد حيث جاء: "وكلم الرب موسى في عربات موءاب على أردن أريحا قائلاً: كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخرجون جميع مرتفعاتهم وتملكون الأرض، وتسكنون فيها؛ لأني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها وتقسمون

الأرض بالقرعة حسب عشائركم، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكًا في أعينكم، ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم".

لاحظ النص يا أخي الكريم: "وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكًا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها". فكأن المطلوب بمقتضى الأمر الإلهي إبادة جميع السكان أو طردهم. إذن هي حرب عقائدية. هذا النص جاء في سفر العدد إصحاح 33 من 50 إلى 56.

"فإذا ما سلمت المدينة نفسها لكم فإن الحاكم مخير في أمرها بين القتل والسلب والنهب والاسترقاق" يؤكد ذلك ما جاء في الأسفار حيث ورد ما يلي: "الاستعباد حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فإن أجابتك للصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك، ثم قتل الرجال وحرق المدن والحقول واسترقاق النساء والأطفال، وأخذ الأموال غنائم فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان، قتلوهم فوق قتلاهم، واسبوا نساءهم وأطفالهم، وانهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم، واحرقوا

جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حقولهم بالنار، وخذوا كل الغنيمة وكل النهب من النساء والبهائم". هذا النص في سفر العدد إصحاح 31 من 8 إلى 12.

ثم التمثيل والوحشية حين القتل، حيث ورد في سفر صموائيل: "وأخرج داود الشعب الذي فيها ووضعهم تحت المناشير، ونوارج من حديد وفؤوس من حديد، وأمرّهم في أتون وهكذا صنع بجميع مدن عمون" أتون -يعني: في أفران للحرق- ثم قتل الجميع الرجال والنساء والأطفال، ورد في سفر العدد. وبذلك لا يرى اليهود أي حرج يحول بينهم وبين تحقيق أغراضهم ولا إهدار أي قيمة أخلاقية ولا إنسانية؛ لأنهم حسب هذه العقيدة ينفذون تعاليم الرب.

هذا - أيها الإخوة- هي العقيدة الأخلاقية للحرب التي تدين بها الحركة الصهيونية في تعاملها مع أرض فلسطين ومع أهل فلسطين الآن؛ لذلك لا عجب أن ترى الجندي الإسرائيلي يقتل الطفل والمرأة ويحرق البيت، ويهدم البيت، ويخلع الزروع ويحرقها، ويوقدون النار في منازل الفلسطينيين؛ لأنهم بذلك ينفذون تعاليم الرب.

والسؤال: هل يؤمن عقل أن هناك رب يأمر بهذه التعاليم ويجعلها عبادة وعقيدة يدين بها عباده؟

أتـرك الإجابة لكم لكي نعلم أن القرآن الكريم حين يقص علينا أن التوراة حرفت وبدلت يأتي الواقع ليؤكد صدق ما قصه القرآن علينا.

(2)

أنتقل الآن إلى الجانب الأخلاقي في تعاملات اليهود: وأول ما نلحظه في هذا الجانب أنها أخلاق في تدين بالعنصرية، عنصرية العرق والدم والجنس لأنهم يؤمنون بمبادئ في منتهى السوء، ويمكن إيجازها فيما يلي:

المبدأ الأول: أنهم يؤمنون بأفضليتهم على سائر البشر، وهذا المبدأ الذي يدينون به يستندون فيه إلى نصوص وردت في أسفار التوراة، حيث ورد ما يلي:

جاء في سفر التثنية في الإصحاح السابع: "إياك قد اختار الرب إلهك لتكون شعبًا أخصه من جميع الشعوب -وهو شعب إسرائيل- الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق الرب بكم واختاركم؛ لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم، أخرجكم الرب بيد شديد وفداكم من العبودية، لما

اصطفاهم ليس لأكثرية العدد ولا لأقلية العدد بل من أجل محبة الرب إياكم".

ثـم جـاء في سفر الخروج ما يلي: "فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة" هذه هي الكلمات التي تكلـم بها الرب مع بني إسرائيل "تكونون لي مملكة وكهنة وأمة مقدسـة" ثم "وواعدك الرب اليوم أن تكون لـه شعبًا خاصًا به كمـا قال لك، وتحفظ جميع وصاياه، وأن يجعلك مستعليا على جميع القبائل التي عملها في الثناء وأن تكون شعبًا مقدسًا للرب إلهك". هذا في سفر التثنية إصحاح 26 ، 19 "وأتخذكم لي شعبًا وأكـون لكم إلهًا فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين".

ويمكـن الـرجوع - أيها الإخوة- إلى الأسفار المقدسة لتقرأوا فيها هذه النصوص التي لا حصر لها، والتي تدل وتنطق بالعنصرية القاتلة التي تجعل الأفضلية صفة مميزة لهذا الشعب على سائر شعوب العالم.

ومن المهم أن أشير هنا إلى نقطة أن الله -سبحانه وتعالى- قد ذكر في القرآن الكريم أنه فضل إسرائيل على جميع الشعوب حين كانوا يستحقون هذه الأفضلية، ولذلك نجد في القرآن الكريم أن الله تعالى يذكرهم بهذه النعمة، ويقول لهم :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: 47) لكن هل هذه الأفضلية خصوصية للعرق والدم والجنس أم أنها كانت جزاء لسلوك معين تضمن تنفيذ تعاليم الإله -سبحانه وتعالى- أمرًا ونهيًا؟ هذا هو السؤال.

ظن بنو إسرائيل خطأ أن هذه الأفضلية خصوصية ذاتية استحقوها وخصهم الله بها دون سائر شعوب الأرض وصارت خاصية لهم على طول التاريخ، وأخذوا من ذلك أنه يمكنهم أن يفعلوا ما يشاءوا مما يغضب الرب ومع ذلك يظلون أفضل الشعوب، لكن نجد القرآن الكريم يبين لنا أن هذه الأفضلية لها ثمن ولها أسبابها، وهو تنفيذ أوامر الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ نجد القرآن الكريم يبين لنا أن هذه الأفضلية لما زال سببها زالت؛ لأنها ليست خصوصية لا لأمة، ولا لشعب، ولا لجنس، ولا لفرد، وإنما هي نتيجة لعمل فمن سارع بالعمل حاز هذه الأفضلية؛ ولذلك نجد في القرآن الكريم: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ ﴾ (النساء: من الآية: 160)، ونجد في القرآن الكريم: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ ﴾ لماذا لعنوا؟ ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ (المائدة: 78) العصيان والظلم والاعتداء، ثم ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ ﴾

(المائدة: من الآية: 79) فصار المنكر عرفًا والعرف منكرًا أو المعروف منكرًا، بدلوا وغيروا، فاستحقوا الطرد واللعن من رحمة الله -سبحانه وتعالى- فكأن الأفضلية كانت ميزة لهم حين استحقوها بعملهم، فلما نكصوا واعتدوا وظلموا وشاع بينهم المنكر والفاحشة طردوا من رحمة الله، كما قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ ولذلك ليست هذه الأفضلية خاصية وإنما هي نتيجة لعمل كما قلت، من بادر بالعمل حاز الأفضلية يهودي أو غير يهودي.

(3)

هذه النصوص انعكست على التلمود فوجدنا أن نصوص التلمود تصرح بما هو وأخزى وأسوأ مما في هذه النصوص السابقة، حيث نجد أن التلمود يحدد قرابة اليهودي لليهودي بأنها ميزة يجب أن يعامل من منطلقها معاملة أحسن من غير اليهودي. وترتب على هذا أننا وجدنا في التلمود أن النطفة المخلوق منها اليهودي نطفة خاصة، أما النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب هي نطفة حصان.

وعندهم أن الكلب أفضل من الأجنبي؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس مصرح له أن يطعم الأجنبي، هذه نصوص موجودة في التلمود، وقريب اليهودي هو اليهودي، أما باقي الناس فهي حيوانات في صورة إنسان، هم حمير وكلاب وخنازير، فإذا ضرب أمي إسرائيليًا، فكأنه ضرب العزة الإلهية، إذا ضرب أمي إسرائيليًا فالأمي يستحق الموت، ولو لم يخلق اليهودي لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس، هذه أساطير في نصوص يتعبد بها اليهودي في تعامله مع غير اليهودي .ومعاملة الربا قال الرابي مناحم: "أيها اليهودي: إنكم من بني البشر؛ لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم مصدرها الروح النجس". هذا أيها الإخوة موجود في (الكنز المرصود في الحديث عن التلمود).

ومن مبادئهم أيضًا: أن الغاية تبرر الوسيلة؛ ولذلك نجد على طول امتداد الحركة الصهيونية أنهم لا يحترمون العهود ولا المواثيق، وقد صرح القرآن الكريم بذلك، وأكد الواقع هذه القضية، ونجد في نصوص العهد القديم ما يؤكد هذا فلا اعتبار لخلق ولا دين عندهم؛ لأن الغاية -كما قلت- تبرر الوسيلة، ولذلك ظلموا الأنبياء والمرسلين ونسبوا إليهم أسوأ الأفعال

وأقبح الأخلاق ولا نجد في وصفهم لله وللیهود وللأنبیاء ما ینبئ عن ذرة من العقل أو مسكة من الخلق، فیزعم الیهودي أن إبراهیم قد تاجر بزوجته من أجل كسب مادي، وقد تكرر ذلك مرتین وأنه طرد هاجر بولدها لینال رضا سارة، وهذا موجود في سفر التكوین، یزعم الیهود أن ابنتي لوط قد سقتا أباهما خمرًا من أجل الحصول على ولد منه - یعني: ولد الزنا- وهذا موجود في سفر التكوین آیة: 19.

لا أرید أن أطیل في ذكر هذه النصوص، ولكن سوف أجتزئ بعض النصوص التي تبین أن ما یفعله الصهیوني المعاصر یفعله من واقع نصوص هو یؤمن بها ویدین بها ویعتقد صحتها، فعندهم: "أن یعقوب قد خدع أباه مستغلاً عماه لینال منه حق البكوریة، وذلك بارتدائه جلد ماعز حول ذراعیه، وتقلید أخیه عیسو في صوته لیتحقق له ما یرید" وهذا موجود في سفر التكوین، إصحاح 27 آیة: 13.

یؤمن الیهودي أن الفاحشة مع غیر الیهودیة لا تعد فاحشة؛ لأنها غیر مؤمنة، بل عنده أنها غیر إنسانة، وهناك نصوص وردت على ألسنة علمائهم تؤید ذلك "إن للیهودي الحق في اغتصاب النساء الغیر مؤمنات" أي: غیر الیهودیات،

وعندهم: أن الزنا بغیر الیهودیات ذكورًا كانوا أو إناثًا لا عقاب علیه؛ لأن الأجانب من نسل الحیوانات.

لا ضیر على الیهودي أن یكذب أو یحلف كذبًا إذا تعارض ذلك مع مصلحته من منطلق أن الغایة عندهم تبرر الوسیلة، لا ضیر على الیهودي إذا قتل غیر الیهودي لأنه لا حرمة له، وقد حصر بعض الباحثین عدد من ذبحهم الیهود في عید الفصح في بعض السنوات فوجدهم عددًا هائلاً جدًا، وذكر البعض أن الیهود یتقربون إلى الله بقتل غیر الیهودي، فجاء من نصوص التلمود: "اقتلوا الصالح من غیر الإسرائیلیین ومحرم على الیهودي أن ینجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك أو یخرجه من حفرة یقع فیها؛ لأنه بذلك یكون حفظ حیاة أحد الوثنیین، من العدل أن یقتل الیهودي بیده كل كافر، یعني: غیر الیهودي؛ لأن من یسفك دم الكافر یتقرب إلى الله".

هذه النصوص -أیها الإخوة- تؤكد لنا أن أخلاقیات التعامل بین الیهودي وغیر الیهودي، من الغش والتعامل بالربا وارتكاب الفواحش، بل العمل على إشاعة الفاحشة بین الشعوب هم یقومون بها من منطلق فكر عقائدي وتنفیذ لوصایا هم یؤمنون بها ویدّعون أنها نزلت على أنبیاء الله في كتبهم

المقدسة، وهذا كله دليل على التزييف والتبديل والتحريف وسبحان الله أن يقول شيئًا من ذلك، وحاشا لله أن ينزل وحيه على بعض أنبيائه شيئًا من ذلك، بل صدق الله حين يقول:

﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ (النساء: من الآية: 46)

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ (البقرة: من الآية: 79) ثم يقولون

﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: من الآية: 78) هذه حقائق -أيها الشباب- ينبغي أن نعرفها.

ما العمل!

أنتقل بعد ذلك إلى النقطة الأخيرة في هذا الموضوع، وهو طرح السؤال الآتي: وما العمل إذن وما هي وسائل المواجهة لهذه التيارات وهذه المواقف الصهيونية من العالم الإسلامي ومن الإسلام؟

للإجابة على هذا السؤال: أرى أنه من الإنصاف أن نصارح أنفسنا بعيوبنا أولاً، وبعللنا وأمراضنا أولاً؛ لأن العالم الإسلامي يحتاج إلى من يكاشفه بعلله ويشخص أمراضه، فإذا ما صح وصف العلل وصدق تشخيص المرض، فيذا يختصر لنا الطريق للبحث عن العلاج الناجح.

أولاً: وحدة الإرادة :

وأول العلل والأمراض التي نواجهها هي حالة التشرذم والتفرق والتحزب التي يعيشها العالم الإسلامي، هذه الحالة ينبغي أن نواجهها بصدق وأمانة وبشجاعة نواجهها بما أمرنا به ديننا من الوحدة والاعتصام بأمر الله، فكل شيء في ديننا يدعو إلى الوحدة، ليس القصد من الوحدة مواجهة الآخر، وإنما القوة الذاتية: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ (آل عمران: من الآية: 103) ففي الوحدة القوة، وفي الوحدة بداية عوامل النصر، وفي الوحدة مؤازرة ومناصرة لأصحاب الحقوق، وهذا ما أمرنا به ديننا، كل شعائرنا الدينية تدعونا إلى الوحدة، ففي صلاتنا نتجه إلى قبلة واحدة، في صيامنا نصوم شهرًا واحدًا ونفطر في وقت واحد ونمتنع عن الطعام والشراب في وقت واحد، في زكاتنا نتعامل بمعيار واحد في كل شعائرنا رمز من رموز الوحدة، فلماذا لا نتحد كما أمرنا ديننا وكما أشارت به شعائرنا وطقوسنا الدينية؟ -أيها المسلمون- الاعتصام بأمر الله، وهذا هو بداية الطريق، الوحدة والعودة إلى الله ولا بد من وحدة الإرادة قبل إرادة الوحدة. ووحدة الإرادة يعني وحدة الهدف، وحدة المقاصد، وحدة الغايات. لأن توحيد الأهداف هو طريقه إلى إرادة الوحدة.

إسلامية القضية :

الـنقطة الثانـية: أنه لا بد من نقل القضية الفلسطينية من حيـزها الفلسطيني وحيزها العربي إلى وضعها الطبيعي، فهي قضية إسلامية بالدرجة الأولى، ليست قضية إقليمية تخص شعبًا بمفـرده -الـشعب الفلـسطيني- وليست خاصة بالأمة العربية وحـدها، وإنمـا هي قضية إسلامية؛ لأنها تخص أولى القبلتين وثالـث الحـرمين الشريفين، وهي مقر ومعبد ديني: «لا تشد الـرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمـسجد الأقـصى» لذلك فإن زيارة المسجد الأقصى شعيرة دينية يؤمن بها كل مسلم في شرق العالم وغربه.

أخلاقيات اليهود :

الـنقطة ثالثة: ينبغي أن نعود إلى كتاب ربنا لنستقي منه أخلاقـيات الـيهود التي يعاملوننا بها الآن، والتي أكدها الواقع، والتي أكدتها المواثيق التي سبق أن أشرنا إليها، فإن من صفات الـيهود ومـن خصائص اليهود، ومن أخلاقيات اليهود التطاول علـى الله، والـتطاول على الأنبياء، وتحريف كلام الله ووحيه، واحـتقار الأمم الأخرى والعدوان عليها، ثم إثارة الفتن والقلاقل والحـروب والإفـساد فـي الأرض: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ (المائدة: من الآية: 64) ونحن كمسلمين نسالم من

يسالمنا، ونمد يد السلام لكل من مد يد السلام إلينا، والواقع الذي نعيـشه الآن أن العـرب في حالة سلام مع الحركة الصهيونية، لكـن الوثيقة التي تلوتها عليكم تؤكد غير ذلك فأين إسرائيل من معاهدة السلام ومعاهداته.

هـذه أمـور ينبغي أن نضعها أمام أعيننا؛ لأن المواجهة تحـتاج إلى سياسة النفس الطويل، وتحتاج إلى فقه الواقع الذي نعيشه ومشكلاته، ولا أريد أن أفصل الكلام أكثر من ذلك.

دور الشعوب :

الـنقطة الرابعة: على الشعوب العربية إن تعرف دورها بعيدًا عن موقف الحكومة، والأنظمة السياسية، وأن يتعلموا من الواقـع أن للأنظمة الحاكمة دورا رسميا وللشعوب دورها وهو الأهـم والأكثـر فعالـية في حركة التاريخ، فما لمانع أن تفعل الـشعوب العـربية في أمريكا وأوربا كما فعلت إسرائيل. لماذا لا نؤسس أجهزة إعلامية (مرئية ومقروءة ومسموعة) تتحدث إلي أوربا وأمريكا تبلغها وتنقل إليهم حقائق الموقف الصهيوني مـن العـرب وتـصحح لهم الأخطاء التاريخية التي قامت بها الـصهيونية ليتعـرف الـشعوب الأوربية على حقيقته الفظيعة ويكشفوا لهم التزييف والتزوير الذي فعلته الصهيونية إننا نملك المال والعقول .. ولكن أين الإرادة العربية، وأين العزيمة .

حسن توظيف الثروات العربية:

إن الله قد أنعم على المسلمين والعرب بعوامل القوة التي حرم غيرهم، ولكن للأسف الشديد لم يحسن العرب توظيف هذه العوامل ولم يستثمروها كما يفعل غيرهم فإن العرب يملكون الأرض الصالحة للزراعة، وما زالوا يأكلون مما يزرع غيرهم، ويملكون الأيدي العاملة ولكن يلبسون مما يصنع غيرهم، ويملكون العقول المفكرة، ولكن طردوا من أوطانهم نتيجة الاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي فأثمرت عقولهم خارج أوطانهم علما وصناعة تنعم بها غيرهم .

ويملك العرب ثروة بترولية وطاقة غازية لا نظير لها في بقعة أخرى في العالم. ولكن لم يحسنوا الإفادة منها.

ومن الأمور التي تدعو إلى الأسف أن كل هذه الأمور معروفة للخاصة والعامة، ولكن لما غابت أو غيبت الإرادة العربية عن الإفادة من هذه النعم صار أمر الإفادة أو تحول إلى غيرنا ليفيد هو بها وينعم بها وتتخذها سلاحا وشوكة في ظهورنا وأصبح العالم العربي يستجدي من الآخر كل شيء ابتداء رغيف الخبز حتى الإبرة والصاروخ.

وذلك كله بسبب غياب أو تغيب الإرادة العربية في النهوض بالأمة وحسن توظيف ثرواتها .

ملاحق

(ملحق رقم 1)

نداء نابليون إلى يهود العالم

- من نابليون بونابرت القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين.
- أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، الذي لم تستطيع قوي الفتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومي، وان كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط.
- إن مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدين – وأن لم تكن لهم مقدرة الأنبياء مثل أشعياء ويوئيل – قد أدركوا ما تتبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع أن عبيد الله (كلمة إسرائيل في اللغة العبرية تعني أسير الله أو عبد الله) سيعودون إلى صهيون وهم ينشدون، وسوف تعمهم السعادة حين يستعيدون مملكتهم دون خوف.
- انهضوا بقوة أيها المشردون في التيه. إن أمامكم حربا مهولة يخوضها شعبكم بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التي

روثها عن الأجداد غنيمة تقسيم بينهم حسب أهوائهم... لابد من نسيان ذلك العار الذي أوقعكم تحت نير العبودية، وذلك الخـــزي الذي شل إرادتكم لألفي سنة. إن الظروف لم تكن تسمح بإعلان مطالبكم أو التعبير عنها، بل إن هذه الظروف أرغمـــتكم بالقسر على التخلي عن حقكم، ولهذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، وهي تفعل ذلك في هذا الوقت بالذات، وبالرغم من شواهد اليأس والعجز.

- إن الجيش الذي أرسلتني العناية الإلهية به، ويمشي بالنصر أمامـــه وبالعدل وراءه، قد اختار القدس مقر لقيادته، وخلال بضعة أيام سينتقل إلي دمشق المجاورة التي استهانت طويلا بمدينة داود وأذلتها.

- يا ورثة فلسطين الشرعيين...

- إن الأمة الفرنسية التي لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل غيـــرها، تدعـــوكم إلـــي إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

- انهـــضوا وأظهـــروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفـــاد هـــؤلاء الأبطـــال الذين كان تحالفهم الأخوي شرفا لأســـبرطة ورومـــا، ومعاملة العبيد التي طالت ألفي سنة لم تفلح في قتل هذه الشجاعة .

- ســـارعوا! إن هذه هي اللحظة المناسبة – التي قد لا تتكرر لآلاف الـــسنين – للمطالـــبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شـــعوب العالم، تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين وهـــي وجـــودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي المطلـــق في عبادة إلهكم بهواه، طبقا لعقيدتكم، وافعلوا ذلك في العلن وافعلوه إلي الأبد.

- بونابرت

(ملحق رقم 2)

المؤتمر الدولي للقيادات النصرانية الصَهْيونية

- فيما بين السابع والعشرين من آب (أغسطس) 1985م عقد فـــي مدينة " بال" بسويسرا – في القاعة التي عقد فيها قبل ثمانـــية وثمانـــين عامًـــا المؤتمر الصهيوني الأول برئاسة "تـــيودور هرتزل" 1897م الذي أرسيت فيه الأسس النظرية والعملـــية التي تكفل إنشاء الدولة اليهودية بعد خمسين عامًا علـــى وجـــه التحديد–المؤتمر الدولي للقيادات النصرانية– أتباع الكنائس النصرانية المؤيدة لقيام الدولة اليهودية، التي تعتبـــر قـــيام هـــذه الدول تحقيقًا لنبوءات الكتاب المقدس،

وتنطلق من خلفية توراتية لدعم الدولة ونصرة اليهود- ولقد قام الدكتور عبد المنعم المشاط بترجمة الإعلان الصادر عن هذا المؤتمر الذي تألف من مقدمة، ومبادئ، وقرارات:

المقدمة :

نحن الوفود المجتمعين هنا، من دول مختلفة، ونمثل كنائس متنوعة في هذه القاعة الصغيرة نفسيا التي اجتمع فيها منذ ثمانية وثمانين عاما مضت الدكتور "هرتزل" ومعه وفود المؤتمر الصهيوني الأول، ووضعوا اللبنة الأولى لإعادة ميلاد دولة إسرائيل! جئنا معا للصلاة، ولإرضاء الرب، ولكي نعبر عن ديننا الكبير، وشغفنا العظيم بإسرائيل الشعب، والأرض والعقيدة، ولكي نعبر عن التضامن معها، وإننا ندرك اليوم وبعد المعاناة المريرة التي تعرض لها اليهود، أنهم لا يزولون يواجهون قوىً حاقدة ومدمرة مثل تلك التي تعرضوا لها في الماضي .

وإننا كنصارى ندرك أن الكنيسة أيضا لم تنصف اليهود طوال تاريخ معاناتهم واضطهادهم، وإننا نتوحد اليوم في أوروبا، بعد مرور أربعين عاما على الاضطهاد لليهود (الهولوكست) لكي نعبر عن تأييدنا لإسرائيل، ونتحدث عن الدولة التي تم إعداد ميلادها هنا في "بال" ونقول: أبدا، لا رجعة

للقوي التي يمكن أن تتسبب في استرجاع أو تكرار (هولوكست) جديدة ضد الشعب اليهودي..

المبادئ التي أعلنها المؤتمر :

أولاً: نخاطب إخواننا النصارى : علينا أن نخلص أنفسنا من أي شكل من أشكال معاداة السامية – مستترًا كان أم معلنًا ضد اليهود – وأن نؤيد الشعب اليهودي بالحب القلبي والإخلاص والعمل، في ضوء الكتاب المقدس، وفي ضوء العهد الذي قطعة الرب مع شعبه وأرضه.

ثانيا: نهنئ الدولة إسرائيل ومواطنيها على الإنجازات العديدة التي تحققت في فترة وجيزة تقل عن أربعة عقود (40 سنة) ونحضكم أن تكونوا أقوياء في الله، وعلى أن تستثيموا قدرته في مواجهة ما تعترضكم من عقبات، ونناشدكم بحب أن تحاولوا تحقيق العديد مما تصبون إليه، وعليكم أن تدركوا أن يد الله وحدها هي التي ساعدتكم على استعادة الأرض، وجمعتكم من منفاكم طبقًا للنبوءات التي وردت في النصوص المقدسة، وأخيرًا ندعو كافة اليهود في جميع أنحاء المعمورة للهجرة إلي إسرائيل، كما ندعو كل نصراني أن يشجع

ويـدعم أصـدقاءه اليهود في خطواتهم الحرة كلها التي يستلهمونها من الله .

ثالثًا: نناشد الدول، صديقة إسرائيل، التي تتراوح سياساتها ما بـين التأييد الحقيقي واعتبارات الملاءمة السياسية، أن تـنقل سـفاراتها إلي القدس، وذلك للتأكيد على الربطة التاريخـية بين الشعب اليهودي والمدينة التي وهبها الله له. وأن تعترف هذه الدول بـ"يهودا والسامرة" (الضفة الغربية) جزءًا من أرض إسرائيل.

رابعًا: نحذر الدول المعادية لإسرائيل -بما فيها الدول العربية، عـدا مصر- والاتحاد السوفييتي أن تتوقف عن عرقلة الـسلام فـي الـشرق الأوسـط، وكذلك نحث الاتحاد الـسوفييتي أن يسمح دون تأخير لكل اليهود السوفييت بالهجـرة إلي إسرائيل بدءًا بأولئك الذين تقدموا بطلبات هجـرة وتأشـيرات خـروج، والذين يصل عددهم إلي أربعمائـة ألـف يهـودي، وأن يمنح حرية دينية كاملة للمواطنين السوفييت كافة.

خامسًا: نطلب من الدول التي لمّا تعترف بعد بإسرائيل أن تسارع للاعتـراف بها دبلوماسيًا، وتأييدها دوليًا، وأن تمتنع عن أية مقاطعة لإسرائيل أو وضعها في أية قوائم سوداء.

سادسًـا: وأهم من ذلك كله، وأشد إلحاحًا، فإننا نصلي من أجل مجيء ذلك اليوم يعيش فيه شعب إسرائيل كله، وشعوب الشرق الأوسط والعالم كله بسلام وأمان كما وعدنا الله.

سـابعًا: نصدر بصورة رسمية القرارات التالية التي يلتزم بها المؤتمر.

قرارات المؤتمر:

1- لا تـنازلات للاتحـاد السوفييتي طالما لا يستطيع اليهود السوفييت الهجرة إلي إسرائيل .
2- يجب أن تمتد إسرائيل ويتم قبولها دوليًا.
3- يجب على الدول كافة الاعتراف بإسرائيل .
4- يجـب على الدول كلها أن تعترف بأن "يهودا والسامرة" تتبعان إسرائيل .
5- يجب على الدول كلها أن تنقل سفاراتها إلي القدس .
6- ينبغـي على الدول الصديقة أن تتوقف عن تسليح أعداء إسرائيل .
7- ينبغـي علـى الحكـومات كلهـا أن تمتـنع عن إيواء الإرهابيين.

8- نعلن شجبنا معاداة السامية في صورها.

9- إننا ونحن نتذكر جميع صور الوحشية التي تعرض لها اليهود في الماضي، نقرر ألّا رجعه لمثل هذه الأمور مطلقًا.

10- إننا نشجع توطين اللاجئين في إسرائيل، ونؤكد ضرورة توفير العدالة للاجئين اليهود.

11- نلتزم بدعم إسرائيل اقتصاديًا، وننشئ صندوق استثمار دوليًا لمساعدتها.

12- يجب على الدول كافة أن تتوقف عن الخضوع لمقاطعة إسرائيل.

13- نناشد المجلس النصراني الدولي أن يبحث في الرابطة المقدسة بين الأرض والشعب.

14- نصلي جميعًا من أجل مملكة الرب القادمة.

ومما يجدر ذكره أن عدد أعضاء المؤتمر بلغ (589) شخصًا، قدموا من سبع وعشرين دولة في العالم كله، بناء على دعوة خاصة من السفارة النصرانية الدولية" ومقرها القدس، وبلغ عدد المراقبين (600) شخص، وقد حضره ممثلون من نيجيريا، وساحل العاج، وزائير، والهند وسري لانكا، والصين.

وقد اتفق هؤلاء الأعضاء في نهاية المؤتمر على أن يقوموا بحملة من أجل توظيف رؤوس أموال قدرها مائه مليون دولار أمريكي في "إسرائيل" وتم إنشاء "صندوق دولي للاستثمار من أجل إسرائيل" مقره "أمستردام" ويرأسه رجل أعمال هولندي يدعي "كارل فان أورد" وستعطي الأولوية في هذه الاستمارات للتكنولوجيا المتقدمة .

واتفقوا كذلك على تنظيم مسرة تضم خمسة عشر ألف شخص، يحملون الأعلام الإسرائيلية في منتصف أيلول (سبتمبر) في مدينة "نورمبرغ" بألمانيا الغربية، وذلك بعد مرور خمسين عامًا على "قوانين نورمبرغ العنصرية المعادية للسامية" لتكون بمثابة دليل واضح على ندم الألمان على المحارق التي تمت في الحرب العالمية الثانية .

قالت مجلة "المنبر اليهودي" التي تصدر في "باريس" في عددها الصادر بتاريخ 1985/9/12م في التحقيق الذي كتبته حول المؤتمر المذكور: (... وفي نهاية أعمال المؤتمر تم الاتفاق على برنامج عمل تحت عنوان : دعوة بال العقيدية؛ لتحديد مهمات الصهاينة النصارى بعد ثمانية وثمانين عامًا على إعلان برنامج بال 1897م... وقد حدد القس "كلود دو فرنو" الأسس اللاهوتية

للالتـــزام النصراني مع إسرائيل بـــ : (وعود الرجوع إلي أرض المـــيعاد لأولاد إسرائيل وهي في النصوص التوراتية...) وقالت أيـــضًا : (والنصارى الصهاينة الذين يقدر "فرانسوا ديلية" ممثل الـــسفارة النـــصرانية في فرنسا عددهم بأربعين مليونًا في العالم يـــستطيعون القـــيام بدور حاسم على عدة أصعدة، وذلك من أجل اعتراف أسبانيا والفاتيكان بدولة إسرائيل.

راجع في الصهيونية

- الـــثقافة الإســـلامية، تأليف أ.د. عبد الحميد مدكور وآخرين، جامعـــة قطر/ مراجعة أ.د/ محمد السيد الجليند، وآخر انظر البحث القيم عن د. مدكور .

- تيارات فكرية معاصرة أ.د/ محمد السيد الجليند.

- ســـقوط الأقـــنعة المـــشروع الصهيوني للسيطرة على العالم د./ محمد والي طبعة مصر.

- عقائـــد وتـــيارات فكـــرية معاصرة أ.د/ محمد السيد الجليند وآخـــرون انظـــر الـــبحث القـــيم للدكتور: بكر زكى الخاص باليهودية:

- فلـــسطين أرض الرســـالات الـــسماوية/ جارودي ترجمة : أ.د/ عبد الصبور شاهين

- الخلفـــية التوراتـــية للموقـــف الأمريكي لإسماعيل الكيلاني، ط الكتب الإسلامي بدمشق.

* * *

تنفيذ الطباعة والتجهيزات الطباعية

دار قـــباء الحديثـــة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

جمهورية مصر العربية

16 عمارات النور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر

تليفاكس 02.22621365 محمـــول 0123140315

E-mail: modern_qubaa@hotmail.com

هذا هو العدد الثامن من سلسلة تصحيح المفاهيم، يُقدّم للقارئ الكريم القضية القديمة الحديثة معاً، وهي قصة الصراع بين الحركة الصهيونية المعاصرة والعرب، وما أحاط بها من لبس وغموض حول قصة هذا الصراع، وأن البعد الديني الحاضر في قلب المعركة من جانب إسرائيل هو المسيطر على أطراف المعركة كما هو نابت من قلبها ومؤسس لأبعادها التاريخية، كما تؤكد ذلك النصوص الواردة في هذا البحث، وللأسف الشديد فإن هذا البعد الديني قد غُيب تماماً واستُبعد من الجانب العربي، ومن هنا غاب التكافؤ وشال الميزان العالمي لصالح الكفة الصهيونية، التي قلبت الحق العربي في نظر العالم باطلاً، وحوّلت الأساطير الصهيونية إلى حقائق "زائفة" دافعت عنها أصابع الصهيونية في أمريكا وأوربا على سواء، ومن هنا وجب تصحيح هذا المفهوم لنعيد القضية إلى مسارها الصحيح.

الناشر